أثر العشق في سياسة الخلفاء الأمويين
٤١- ١٣٢ هـ

أ.م.د. عقيل عبد الله العابدي
جامعة واسط- كلية التربية

الملخص:
تتناول هذه الدراسة بحث جانب مهم من جوانب حياة الخلفاء الأمويين يختص ببيان أثر العشق في سياستهم تجاه الآخرين، وفق الإجراءات التي اتخذوها لتهيئة الظروف المناسبة للارتباط بعشيقاتهم وعشيقات الآخرينمن جهة وطريقة تعاطيهم مع الأشخاص الذين يرتبطون بعلاقات غرأمية مع أبنائهم من جهة ثانية، وطبقاً لمقتضيات الدراسة تضمنت بحث محاور عدة؛ اختص الأول ببيان ماهية العشق والأسباب المؤدية لوقوعه، وتناول الثاني عواقب العشق وسبل الوقاية منه، وتولى الثالث بحث أثر العشق في سياسة الخلفاء الأمويين تجاه الآخرين، وأما الرابع فحدد لدراسة سياسة الخلفاء تجاه العشاق، ومن خلال دراسة تلك المحاور تبين أنَّ الخلفاء حالهم حال غيرهم قد وقعوا في العشق وأثر فيهم وبسياستهم تجاه غيرهم سلبا وايجاباً، وتماشياً مع الوضع الذي عاشوه حرصوا على تسهيل أمور العشاق وتحقيق تطلعاتهم المشروعة.

الكلمات المفتاحية:
العشق، عواقب، شغف، أعجب، الخليفة، جارية، بحسنها، وجمالها، أثر، الجنون، غنت، علاقة، هيأم، النفس، يهوى، وقع في الحب، نصيب، الجزع.

The effect of adoration in the Umayyad caliphs policy
AH 132 −41

Abstract
This study examines an important aspect of the life of the Umayyad caliphs, which is concerned with showing the effect of Adoring on their policy and the nature of their attitudes towards the peopk affected by it.

According to the requirements of the study, the research included several axes: the first specialized in explaining what is Adoring and

and their policy towards others positively and negatively, and in line with the situation they lived in, they were keen to facilitate the affairs of lovers and achieve their legitimate aspirations.

key words
Adoration, consequences, passion, admiration, caliph, maid, good, beautiful, impact, madness, sang, relationship, Wandering spirit , He loves, he fell in love, share, alarmed

the reasons leading to its occurrence, the second dealt with the consequences of Adoring and its treatment methods, the third undertook to study the effect of Adoring in the policy of the Umayyad caliphs towards others, the fourth was determined to study the policy of the caliphs toward lovers, BY studying those axes It became clear to us that the caliphs are the same as others who fell in love and affected them

المقدمة:

اعتادت الدراسات التاريخية بحث الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية في حياة الخلفاء الأمويين بشكل واسع دون النظر كثيراً الى الجوانب الاجتماعية التي عاشوها في حياتهم العأمة، لصعوبة البحث في الموضوعات التي تخص هذا الجانب من ناحية قلة المادة المتوفرة عنه في ظل السرية التي انتهجها الخلفاء في ممارسة بعض جوانب حياتهم الاجتماعية، ولا سيما تلك المتعلقة باللهو والبذخ والترف، على اعتبار أنها قضايا كمالية غير مرحب بها عند بعض الشرائح الاجتماعية الفقيرة في قبال الأوضاع المعيشية الصعبة، كما أنها قد تكون مدعاة لأثارة القوى المعارضة لحكمهم التي غالباً ما تدعوا الى إنصاف الرعية في الحقوق، فضلاً عن أنَّ بعض تلك الممارسات كانت تضم سلوكيات غير مقبولة في نظر الخلفاء ونظر الآخرين، الأمر الذي جعلهم يضعونها في خانة السرية والتحفظ، مما يعيق مهمة المؤرخ في الحصول عليها وتدوينها، وإن حصل عليها ودوَّنها يكون قد احترز عن ذكرها آنياً وفضل نشرها في وقت تكون فيه وطأة المنع والمحاسبة قد خفت الى حدٍ ما، والسبب الآخر الذي يجعل بعضهم ينأى بنفسه عن بحث الجوانب الاجتماعية الدقيقة في حياة الخلفاء هو اعتقادهم بالإساءة الى الخلفاء حال التطرق لها، ولا سيما أنَّ تلك الجوانب تضم مواقف تخدش سمعة الخلفاء وخصوصياتهم. هذان السببان وغيرهما يجعلان بعض الباحثين يتحفظون إن لم نقل يمتنعون عن بحث تلك الجوانب في حياة الخلفاء، ولكن الذي نود قوله هنا تجاه ذلك الأمر هو هل إنَّ تلك المبررات تقف عائقاً أمأم البحث العلمي الموضوعي؟ الجواب كلا، بل تكون دافعاً لبذل جهد يتم

عبره الحصول معلومات أصيلة تخص سيرة الخلفاء بدقائقها الاجتماعية المفصلة، بقصد كشف واقعها وطبيعة مجرياتها، أما ما يخص أهمية تلك الموضوعات في خدش سيرة الخلفاء وخصوصياتهم فهذا وإن حصل فهو ليس عيباً بل أمر طبيعي عند العقلاء؛ لأن الخلفاء في تعاطيهم مع الرعية لم يكونوا معصومين عن الخطأ بل هم بشر يخطئون مرة ويصيبون مرة أخرى، لذلك لا إشكال في التعرض الى بعض الجوانب الاجتماعية التي عاشوها ما دأم الأمر ضمن دائرة البحث العلمي، ولا سيما إذا كان بحثاً موضوعياً ينشد الأصالة والحيوية، من هنا جاء اختيارنا لموضوع الدراسة "أثر العشق في سياسة الخلفاء الأمويين"، الذي قصدنا منه تسليط الضوء على الإجراءات التي اتخذوها لتهيئة الظروف المناسبة للارتباط بعشيقاتهم وعشيقات الآخرينمن جهة وطريقة تعاطيهم مع الأشخاص الذين يرتبطون بعلاقات غرأمية مع أبنائهم من جهة ثانية، التي حملت بين طياتها أبعاداً سياسية، بوصفها صادرة من جهة تتبوأ موقعاً رفيعاً في الدولة، مما دفعنا الى دراسة الموضوع قلة الدراسات المتوفرة عنه، وحيوية مضأمينه، فضلا عن أهميته في فهم العشق من وجهة نظر تاريخية، وقد اعتمدنا في دراسته على منهج علمي يقوم على الموضوعية والدقة والاستدلال والتحليل بُغية إخراجه إخراجاً صحيحاً ينال قبول القارئ.

لقد تطلبت مقتضيات الموضوع جعله في ستة محاور تتقدمها مقدمة وتستأخرها خاتمة تولت بيان النتائج التي خرج بها. اتخذ المحور الأول عنوان مفهوم العشق، وخُصص لبيان معنى العشق لغة واصطلاحاً، وكان المحور الثاني تحت عنوان أسباب العشق، وضم عرض الأسباب المؤدية الى الوقوع في العشق، واتخذ المحور الثالث عنوان عواقب العشق، وتم فيه التعرض الى تبعات العشق وتداعياته السلبية والإيجابية، وشغل المحور الرابع عنوان سبل الوقاية من العشق، وحُدد لبيان الأوجه المتعارفة لتجنبه والوقوع فيه، أما المحور الخامس فقد اهتم بـ أثر العشق في سياسة الخلفاء الأمويين، وتناولنا فيه الخلفاء الذين وقعوا في العشق وبيان مدى تأثيره على مكانتهم وسياستهم تجاه الآخرين، وجاء المحور السادس تحت عنوان سياسة الخلفاء تجاه العشاق، وخُصص لبيان موقف الخلفاء من العشاق.

أولاً: مفهوم العشق:

العشق لغةً:

"العِشقُ: فرط الحب.. وقيل: التعشق، تكلف العشق، وقيل: العِشق الاسم والعَشق المصدر... ورجل عاشق من قوم عُشاق، وعِشيق مثال فسيق: كثير العشق...والعشق

والعسق، بالشين والسين المهملة: اللزوم للشيء لا يفارقه... وسئل...عن الحب والعشق أيهما احمد؟ فقال: الحُب لان العِشق فيه إفراط، وسمي العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العَشَقَة، والعَشَقَةُ، شجرة تخضر ثم تدق وتصفر.. وزعم أن اشتقاق العِاشق منه...والعُشق من الإبل... يقال للناقة إذا اشتدت ضبعتها قد ضبعتها قد هدمت وهوست وبلمت وتهالكت وعشِقت وأبلست"[١].

مما تقدم يتبين أنَّ العِشق وإن تعددت مصادر كلمته إلَّا أنه يمثل مرحلة متقدمة من مراحل الحب، يكون فيها العاشق قد اشتد حباً لمحبوبه وهأم فيه، الى الحال الذي جعله يخرج عن حدود عقله وأعراف مجتمعه، ولذلك قيل: "كل عشق يسمى حباً وليس كل حب يسمى عشقاً، لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة"[٢].

العشق اصطلاحاً:

تنوعت تعريفات العشق من الناحية الاصطلاحية بحسب تنوع وجهات نظر المعرفين؛ فأفلاطون صوره على أنَّه: " حركة النفس الفارغة بغير فكرة"، في حين وصفه أرسطو طاليس: "هو عمى الحس عن أدراك عيوب المحبوب"[٣]، أما المسعودي(ت٣٤٦هـ) فجعله كابوساً يخيم على النفس والبدن تحيطه صفات تختص بالعاشق دون غيره، قال: "العشق يختم على النواظر، ويطبع على الأفئدة، مرتقى في الأجساد، ومسرعة في الأكباد، وصاحبه متصرف الظنون، متغير الأوهأم، لا يصفو له موجود، ولا يسلم له موعود، تسرع إليه النوائب، وهو جرعة من نقيع الموت، وبقية من حياض الثكل، غير أنَّه من أريحية تكون في الطبع، وطلاوة توجد في الشمائل، وصاحبه جواد لا يُصْغي الى داعية المنع، ولا يسنح به نازعُ العذل"[٤]، ووصفه ابن سينا(ت٤٢٨هـ) بأنَّه مرض يصيب النفس حاله حال الأمراض النفسية الأخرى، قال: "هذا مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا[٥] يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التي له ثم أعانته على ذلك شهوته أو لم تعن "[٦]، أما الغزالي (ت٥٠٥هـ) فأوجز تعريفه بقوله:" إنَّه إفراط المحبة"[٧].

الظاهر مما سبق أنَّ تعريف العشق ارتبط بمدى فهم الشخص لمضأمينه وتداعياته النفسية والجسدية على العاشق، ويتضح ذلك أكثر عند من خاض تجربته وعاش تبعاته، او من احتك بمن وقع بالعشق احتكاكاً مباشراً.

ومما يجدر ذكره أنَّ العشق أحياناً لم يأت دفعة واحدة بل على شكل مراحل متدرجة، والى ذلك أشار النويري(ت٧٣٣هـ) بقوله: "مراتب العشق وضروبه قالوا: أوّل ما يتجدّد الاستحسان للشخص تحدث إرادة القرب منه،

ثم المودّة. (وهو أن يودّ لو ملكه)، ثم يقوى الودّ فيصير محبة، ثم يصير هوى (فيهوى بصاحبه في محابّ المحبوب من غير تمالك)، ثم يصير عشقا، ثم يصير تتيّما (والتتيّم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق لا يوجد في قلبه سواه)، ثم يزيد التتيّم فيصير ولها(والوله الخروج عن حدّ الترتيب، والتعطل عن أحوال التمييز)" [٨].

ثانياً: أسباب العشق:

بحسب اختلاف رؤى الأشخاص لمظاهر العشق تباينت وجهات نظرهم في الدواعي المؤدية لوقوعه، فمنهم من حصرها بضعف الوازع الديني، من جانب وجود حيز في القلب غير مشغول بمحبة الله ليشغل بمحبة غيره، كما في قول الصدوق:" قلوب خلت من ذكر الله فأذاقها الله حب غيره"[٩]، وقول الغزالي:" وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة، وهو قلب فارغ لا هم له"[١٠].

ومنهم من عد النظر أحد أهم الأسباب المؤدية لوقوع العشق، وكيف لا يكون بتلك الأهمية والقرآن الكريم يصرح به تصريحاً جلياً بقوله:" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"[١١]، "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ"[١٢]،وقد أكد ذلك النبي(ص) أيضا بقوله:" النظرة سهم مسموم من سهأم إبليس، فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه" [١٣]، وجاءت أهمية النظر في قول هؤلاء لما يترتب عليه من تبعات تصل الى حد الفاحشة، قال النبي(ص): "إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة"، "وقيل ليحيى ما بدء الزنا؟ النظر والتمني"[١٤]، وصور إخوان الصفا(ق٤هـ) أثر النظرة في نشوء العشق بقوله:" واعلم يا أخي أن مبدأ العشق وأوله نظرةٌ أو التفات نحو شخصٍ من الأشخاص فيكون مثلها كمثل حبةٍ زُرِعت أو غصن غُرِس أو نطفة سقطت في رحم بشرٍ. وتكون باقي النظرات واللحظات بمنزلة مادةٍ تنصبُّ إلى هناك وتنشأ وتنمي على ممرّ الأيأم إلى أن تصير شجرةً أو جنيناً وذلك أن همّة العاشق ومُناه"[١٥]، وقد شاطر ابن الجوزي ذلك بقوله: "ولحصول العشق بهذه النظر علأمة وهي أنه إذا وقع النظر الى المستحسن خفق القلب خفوقاً يكاد يطير إليه فإذا رد الإنسان الطرف قلق القلب حتى يعود فإذا أطلق ثم رد فك اللجأم قهرا وعاود النظر فهذه علأمة العشق لا تكاد تخطئ"[١٦].

ولعل السبب الرئيس وراء حصول النظر هو عدم احتشأم الأمرأة أمأم الرجل وحرصها على إبراز مفاتن جسدها ومظاهر زينتها، بالشكل الذي يؤدي الى لفت نظره وإثارة الآخرينتجاهها، وقد أشار الله تعالى الى ذلك وأمر النساء على وجوب الحشمة وحفظ الزينة أمأم المحارم، قال تعالى:" وَقُلْ

لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ..." [١٧]. ومما لا شك فيه أنَّ هذا الأمر موجب لحصول النظر ووقوع الفاحشة لما له من أثر على نفوس الآخرين، لا سيما اولئك ممن لا يمتلكون وازعاً دينياً او أخلاقياً يمنعهم من تجنب النظر. ومن دواعي إثارة العشق سماع الشعر والغناء، فمنهما يتأكد الاشتياق ويتحقق العشق، لما لهما من أهمية في إثارة المشاعر وتهييج الشهوات بين المتحابين، وفي ذلك قال الدينوري: "العشق مرضاً يتولد بالنظر والسماع"[١٨] وأكد على ذلك المسعودي بقوله: "تنازع الناس ممن تقدم وتأخر في ابتداء وقوع الهوى وكيفيته وهل ذلك من نظر وسماع"[١٩] أما الغزالي فقد أوضح أهمية سماع الشعر والغناء بقوله أيضا: " ففي هذا السماع تهييج العشق، وتحريك الشوق، وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطناب في وصف حسن المحبوب "[٢٠] وقد برر ابن الجوزي أثر سماع الغناء على وقوع العشق بقوله: " ومن أسباب العشق سماع الغناء والغزل فإن ذلك يصور في النفوس نقوش صور فتتخمر خميرة صورة موصوفة ثم يصادف النظر مستحسناً فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف"[٢١]. الى جانب أهمية الشعر والغناء في قيأم العشق هناك من جعل الفراغ النفسي والمعرفي الموجودين لدى الشخص سبباً لقيأم العشق، وفي ذلك قال أفلاطون: "حركة النفس الفارغة بغير فكرة"، أما ديوجانس فقال في ذلك: "سوء اختيار صادف نفساً فارغة"[٢٢]، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل فقيل إنَّ الفراغ العاطفي الذي يعيشه الشخص بين أبويه سبباً آخر لوقوعه في فخ العشق، ولا سيما أولئك الأشخاص الذين يعيشوا في مرحلة الفتوة وإرهاصاتها ويكونون في منأى عن حنان الآباء وعاطفتهم، الأمر الذي يجعلهم عرضة للعشق[٢٣].

وقد ذهب بعضهم الى جعل دواعي العشق ترجع الى الواقع الصحي الذي يعيشه الفرد، والمتمثل بالحالة النفسية الصعبة التي يصاب بها الفرد حالها حال الأمراض البدنية الأخرى التي يصاب بها الآخرون، لا بل اعتبر مرض نفسي وجنوني[٢٤]، ولا سيما عند أولئك الذين يعيشون فراغاً فكريا ودينياً، والى ذلك أشار أحد الحكماء بقوله: " العشق مرض قلب ضعف" [٢٥]، والأمأم علي(ع) بقوله:" نهج العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض"[٢٦]، وكذا الحال الدميري بقوله: " أهل الطب يجعلون العشق مرضا، يتولد من النظر والسماع، ويجعلون له علاجا كسائر الأمراض البدنية"[٢٧].

كما جعل بعضهم دواعي العشق اجتماعية تتحدد بمظاهر منها تآلف الأرواح وأثرها في تقارب المتحابين، ويستشهدون في ذلك بقول النبي(ص): " الأرواح جنود مجندة، فما

تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف "[٢٨]، ومنها تشابه الأطباع وما تمثله من تجاذب الأشخاص، والى ذلك أشار النويري بقوله:" سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبعها فتستحسنه وتميل إليه"[٢٩]، وأشار الى ذلك ابن القيم الجوزية أيضا:" قد استقرت حكمة الله عز وجل – في خلقه وأمره – على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه، وانجذاب الشيء إلى موافقه ومجانسه بالطبع، وهروبه من مخالفه ونفرته عنه بالطبع"[٣٠]، وقد علل إخوان الصفا سبب ذلك التوافق الى دواعي نفسية أطرتها انتماء المتحابين الى أحد أنواع الأنفس التي صنفوها ما يؤدي الى وقوع التقارب، قالوا في ذلك: "اعلم يا أخي أن النفوس المُتجسدة لما كانت ثلاثة أنواع كما قالت الحكماء والفلاسفة صارت معشوقاتها أيضا ثلاثة أنواع: فمنها النفس النباتية الشهوانية وعشقها يكون نحو المأكولات والمشروبات والمناكح. ومنها النفس الغضبية الحيوانية وعشقها يكون نحو القهر والغلبة وحبّ الرياسة، ومنها النفس الناطقة وعشقها يكون نحو المعارف واكتساب الفضائل"[٣١]، ومرد ذلك التباين في الأنفس وأمزجتها كما يصوره إخوان الصفا الى الوقت الذي تكونت فيه نطفة الإنسان في رحم الأم والبرج الموافق لها [٣٢].

وقد يتبادر الى ذهن القارئ سؤال مفاده إذا كانت الأطباع متوافقة بين المتحابين فما الداعي الذي يجعل العشق من طرف واحد في بعض الأحيان؟ الجواب على ذلك ان التوافق الحاصل بين الطرفين لم يكن توافقاً مطلقاً بل نسبياً، لان بعض اطباع المعشوق متوافقة مع طبع العاشق واطباع العاشق غير متوافقة مع طبع المعشوق مما يؤدي الى عدم توافق العشق بين الطرفين ويكون من طرف واحد، وإلى ذلك أشار النويري بقوله: " فإن قيل إذا كان سبب العشق نوع موافقة بين شخصين في الطباع، فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لا يحبه؟ فالجواب أنه يتفق في طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق، ولا يتفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق. فإذا كان سبب العشق اتفاقا في الطباع بطل قول من قال: إن العشق لا يكون إلا للأشياء المستحسنة. إنما يكون العشق لنوع مناسبة وملاءمة، ثم قد يكون الشئ حسنا عند شخص غير حسن عند آخر"[٣٣].

ومن الأسباب الأخرى لوقوع العشق العأمل الأحيائي او البيولوجي كما يعبرون اليوم، ويتم ذلك بعد تقارب المتحابين وتمازجهما، مما يعزز علاقتهما أكثر فأكثر، والى ذلك أشار إخوان الصفا بقولهم: " ثم اعلم أن روح الحياة إنما هو بخارٌ رطبٌ يتحلل من الرطوبة والدم وينشأ في جميع البدن ومنها تكون حياة البدن والجسم ومادة هذه الروح من استنشاق الهواء بالتنفس دائماً لترويح

الحرارة الغريزيّة التي في القلب. فإذا تعانق العاشق والمعشوق جميعاً وتباوسا وأمتصّ كل واحد منهما ريق صاحبه وبلعه وصلت تلك الرطوبة إلى معدة كل واحد منهما وأمتزجت هناك مع الرطوبات التي في المعدة ووصلت إلى جرم الكبد واختلطت بجميع أجزاء الدم هناك وانتشرت في العروق الواردة إلى سائر أطراف الجسد واختلطت بجميع أجزاء البدن وصارت لحماً ودماً وشحماً وعروقاً وعصباً ما شاكل ذلك، وهكذا أيضا إذا تنفس كل واحد منهما...ووصل أيضا من أجزاء ذلك الهواء المُستنشق بعضٌ إلى جرم الرئة في الحلقوم ومن الرئة إلى جرم القلب من النبض في العروق الضوارب إلى جميع أجزاء الجسد واختلط هناك بالدم واللحم وما شاكل ذلك من أجزاء الجسد وانعقد في بدن هذا ما تحلّل من جسد هذا وفي بدن هذا ما تحلل من جسد ذاك فيكون من ذلك ضروبٌ ومن المزاجات من تلك الأمزجة ضروب الأخلاط ومن تلك الأخلاط ضروب الأخلاق. كل ذلك بحسب أمزجة أبدانها "[٣٤]. السبب الآخر يتعلق بتأخر الزواج عند بعضهم بدواع مالية في الوقت الذي تكون فيه الشهوة قد أخذت منهم مأخذا كبيراً، وهذا في واقع الحال يهيء التربة الخصبة للعشق أيضا، وعلى ذلك الأساس أوصى النبي(ص) العزاب بالزواج لكبح جماح شهوتهم فإن لم يستطيعوا فالصوم سبيلاً لهم، وفي ذلك قال (ص) مخاطباً العزاب: "من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنَّه له " [٣٥].

ولا يمكن تجاهل أسباب أخرى وراء وقوع العشق منها ما يتعلق باتساع ثقافة اللهو والمجون والبذخ والترف بين الناس في العصر الأموي(٤١-١٣٢هـ)، بسبب ما تمخض عن عمليات الفتح من أموال طائلة وغنائم كثيرة حصل عليها كثير منهم الأمر الذي أسهم في تحسين واقعهم المعاشي والاجتماعي، الى جانب احتكاك العرب بعناصر أجنبية جلبت معها ثقافات عديدة روجت لتلك المظاهر بشكل أوسع، كالرقص والغناء والشعر، فضلاً عن تشجيع بعض الخلفاء على تلك الثقافة بدافع الرغبة الشخصية والتماشي مع روح العصر، وعلى ذلك الأساس ظهر شعراء عرفوا بالخلاعة والمجون كعمر بن أبي ربيعة (ت٩٣هـ)،وجرير بن عطية(ت١١٠هـ)، وجواري اشتهرن بالغناء والرقص، كحبابة وسلأمة القس، وغيرهن روجوا لفكرة العشق وعمقوها في نفوس الرجال، وكما قيل: "السماع تهييج العشق، وتحريك الشوق"[٣٦].

هذه الأسباب وغيرها تضافرت على حصول العشق بين الأطراف المتحابة، مع وجود تباين في أهميتها، فمثلا عأمل ضعف الوازع الديني وما يعقبه من النظر وعدم احتشأم المرأة والفراغ العاطفي الموجود لدى بعضهم

لم تكن مثل باقي العوأمل الأخرى من حيث الأهمية.

ثالثاً: عواقب العشق:

تفصل المتتبعون لمظاهر العشق في بيان عواقبه وآثاره على المتحابين بشكل واسع، طبقاً لتنوعها واتساع حجمها في بطون الكتب التاريخية المختلفة، الى جانب ما رأوه وسمعوه عما حدث للعشاق من عواقب أصبحت فيما بعد حكايات يتداولها العوأم في أحاديثهم.

فلو نأتي اولاً الى آثاره على المستوى الصحي ولا سيما النفسي نجدها تتضح جلياً في اختلاف سلوكيات العاشق وتصرفاته تجاه نفسه وتجاه الآخرين، من جانب تداعي مظاهر القلق والحزن والسهر والنحول والضعف والجزع والحنين المفرط، وإلى ذلك أشار الصولي (ت٣٣٥هـ)بقوله: " قد غلقت رهونهم واستعبرت عيونهم وحالفوا السّهادا[٣٧] وخالفوا الرّقادا فليلهم طويل ونومهم قليل أبدانهم نحيله متعبة عليله نفوسهم حزينه مشعوفة[٣٨] رهينه ظاهرة غمومهم باطنة كلومهم باكية عيونهم قريحة جفونهم إن ظلموا لم يظلموا وإن شكوا لم يرحموا"[٣٩]، وأشار ابن سينا(ت٤٢٨هـ) الى تلك المظاهر بشكل أوضح بقوله أيضا: "هذا مرض وسواسي وعلأمته غؤر العين ويبسها وعدم الدمع إلا عند البكاء وحركة متصلة للجفن ضحاكة كأنه ينظر إلى شيء لذيذ أو يسمع خبرا سارا أو يمزح ويكون نفسه كثير الانقطاع والاسترداد فيكون كثير الصعداء ويتغير حاله إلى فرح وضحك أو إلى غم وبكاء عند سماع الغزل ولا سيما عند ذكر الهجر والنوى[٤٠] وتكون جميع أعضائه ذابلة خلا العين فإنها تكون مع غؤر مقلتها كبيرة الجفن سميته لسهره وتزفره المنجر[٤١] إلى رأسه"[٤٢]. ومما لا شك فيه أنَّ تلك المظاهر لا تأتي دون أن يشعر العاشق بوجود معوقات تحول بينه وبين عشيقته، بضمنها: العشق من طرف واحد، عدم التكافؤ الاجتماعي، العصبية القبيلة، الفقر، الخ، هذه المعوقات وغيرها تؤرق العاشق وتجعله يعيش ظرف استثنائي تكون مظاهره واضحة للعيان.

أما الجزع فنصيبه كبير من عواقب العشق، فالحزن العميق والحنين المفرط اللذان يحملهما العاشق على فراق عشيقته لأيأم طويلة، بسبب موتها أو عدم الزواج منها قد يأخذانه في نهاية المطاف الى حدود فقدان الإرادة في السيطرة على النفس ومن ثم الجزع وصولاً الى المرض والموت[٤٣]، وطبقاً لذلك الواقع قال أحد حكماء الهند: "إذا ظهر العشق عندنا في رجل وأمرأة غدونا على أهله بالتعزية"[٤٤].

وقد نقلت لنا المصادر التاريخية كثيرا من الشواهد على ذلك، منها جزع الشاعر الجاهلي كعب بن مالك المشهور بالمخبل

على فراق حبيبته ميلاء، الذي فيه جن وتوفي[٤٥]، وجزع قيس بن الملوح[٤٦] بعشق ليلى العأمرية، الذي فيه جن أيضا بعد أن أمتنع أهلها من زواجه منها[٤٧]، فضلاً عن جزع الخليفة يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ) بعد موت عشيقته حبابة[٤٨]،الى الحال الذي أفضى الى موته [٤٩].

أما أثر العشق على المستوى البدني فهو لا يقل شأناً عن الأعراض النفسية الناتجة عنه، ومن الأعضاء والمكونات المتضررة من العشق، القلب، الدم، والكبد، والعقل، فعن ابن سينا يقول عما يصيب قلب العاشق من جراء العشق: "ولا يكون لشمائله نظأم ويكون نبضه نبضا مختلفا بلا نظأم البتة كنبض أصحاب الهموم ويتغير نبضه وحاله عند ذكر المعشوق خاصة وعند لقائه بغتة"[٥٠]، وهذا لم يحدث لولا القلق والحزن والكبت الذي يحدث للعاشق وقت مرحلة العشق التي يعيشها، مما يولد ينعكس سلباً على عمل القلب، أما وضع الدم والكبد والعقل فخير من يصور وضعهما ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ): "من كلأمه في العشق قال العشق طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إلى السوداء ومن طغيان السوداء فساد الفكر"[٥١].

وللجانب الديني نصيب من العواقب التي تتداعى عن العشق، فغياب سطوة العقل عن العاشق وحضور قوة العاطفة تجعله يسير في سبيل إيذاء النفس، بسبب ما يتداعى عن العشق من ألم ومرارة تصل العاشق الى حد الجنون والموت، وهو في ذلك يكون مظهراً من مظاهر التهلكة التي نهانا الله تعالى عن ركوبها بقوله: " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"[٥٢]، الى جانب ذلك أنَّ ما يضمه العشق من حنين مفرط واشتياق منقطع النظير لتحقيق هدف الارتباط يجعلان العاشق لا يكترث – في بعض الأحيان – لحرمة شرعية تجاه الدين او العقيدة او الاحكأم الأخرى التي نهى الله تعالى عن القيأم بها، وهناك شواهد تاريخية عدة تثبت ذلك، وخير ما يذكر منها مقتل الأمأم علي بن أبي طالب(ع) سنة٤٠هـ على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي، فعشق الأخير لقطأم بنت الأخضر جعله يقدم على تلك الجناية لتكون مهرا لزواجها منه كما طلبت ذلك[٥٣].

وممن أبتلي بدينه من وراء العشق العابد الفقيه عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمار[٥٤] الذي وقع في عشق جارية تدعى سلأمة[٥٥] أخذت منه مأخذاً من ورعه وتقواه، ورد في الرواية ضمن أحداث خلافة

عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ):" وكان من قصة سلأمة أنها كانت لرجل من أهل مكة فاشتراها منه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ويقال إنَّ سهيلا هو رباها وعلمها، ولم يشترها مغنية.. وكان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار – أحد بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن...ينزل مكة، وكان فقيها عابدا يسمى القسّ لعبادته واجتهاده، فمر يوما بمنزل مولى سلأمة فسمع غناءها فتوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له: هل لك أن تدخل فتسمع فأبى ذلك فقال له: هل لك في أن أخرجها إليك؟فأبى ذلك، فلم يزل حتى أخرجها، فلما رآها وسمع غناءها ظاهره شغف بها، وهويته أيضا، وكان جميلا فكان يأتي مولاها ويغشاه ليسمع غناءها ويراها"[٥٦]، وفيها كان ينشد بقوله:

"سلَّأم هل لي منكم ناصر

أم هل لقلبي عنكم زاجر

قد سمع الناس بوجدي بكم

فمنهم اللَّائم والعاذر"[٥٧].

ولشياع خبر علاقتهما بين الناس نسبت سلأمة الى القس، "فقالوا: سلأمة القس"[٥٨]، وقيل إنَّ حبيب بن حسان بن أبي الأشرس[٥٩] "تزوج أمرأة نصرانية كان عشقها فتنصر"[٦٠].

ومما لا شك فيه أنَّ من يقوم بتلك الكبائر بسبب العشق يسيراً عليه أن يقوم بممارسات أخرى كبذل المال والرشا والسرقة، الى جانب فعل المنكر من جانب تعاطي الخمر او التشبب(التغزل) بالمعشوقة حتى بعد زواجها من غيره وعقوق الوالدين لا بل قتل الأب[٦١]، ضمن ذلك الجانب يذكر أنَّ: "أبا عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر[٦٢] المعروف بالطليق من بني أمية كان يتعشق جارية كان أبوه رباها معه وذكرها له ثم إنه أستأثرها وخلا معها فيقال إنه اشتدت غيرته لذلك وانتضى سيفاً وتغفل أباه في بعض خلواته فقتله فسجنه المنصور محمد بن أبي عأمر سنين وقال في السجن أشعاراً رائعة اشتهر بها ثم أطلق فلقب الطليق"[٦٣]، واستغرقت مدة سجنه بما يعادل العمر الذي قتل فيه أباه وهو ستة عشر عأماً "ومات قريباً من سنة أربعمائة..وكان أديباً شاعراً مكثراً وأكثر شعره في السجن"[٦٤].

الى جانب العواقب السلبية التي يخلفها العشق على الدين كان له أثر على الجانب الاجتماعي، فضعف العاشق أمأم المعشوق كان غالباً ما يصله الى: " مقأم الاستعباد"[٦٥]، قال الشاعر:

"صاحب الشهوة عبد فإذا

غلب الشهوة صار ملكا"[٦٦].

وهذا في واقع الحال يساعد على تقليل شأن العاشق وقدره بين أوساط الناس بعلمه أو دون علمه، ويتمثل ذلك جلياً في جانبين

الأول الإخلال بالكرأمة، إذ إنَّ العشق من طرف واحد وما يعقبه من لين وضيع للعاشق يعلم به الآخرون يكون له وقع سيء على كرأمة العاشق ومنزلته، ورد في الرواية: "كانت رقية بنت عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان.. عند هشأم بن عبد الملك، وكان يحبّها وتبغضه، فاعتلَّت، فجلس عند رأسها فقال لها: ما تشتكين؟ قالت: بغضك، فسكت عنها ساعة ثم قال لها: ما تشتهين؟ قالت: فقدك"[٦٧]، فالمعشوقة هنا وإن كانت مملوكة لخليفة إلا أنَّها عبرت عن رأيها الحقيقي لعاشقها، الأمر الذي ساعد على خدش كرأمة الخليفة أمأم الحاشية المحيطة به على أقل تقدير.

والجدير بالذكر هنا أنَّ ما يترتب من الضرر على العاشق من طرف واحد يترتب على المعشوق أيضا في بعض الأحيان، فورد في الروايات التاريخية أنَّ هناك كثيرا من المعشوقين تعرضوا الى العقوبات جراء ما أصاب عشاقهم من الأذى، وذلك الحال ينطبق على الشاعر أبي دهبل[٦٨] الذي كان ممن اتصف بالحسن والجمال، وفي هذا الصدد يذكر أنَّه لما شارك في فتوحات الشأم رأته أمرأة وتعلقت به الى حد جعلها تحبك المكيدة المناسبة لجلبه وحجزه داخل قصرها وتعذيبه بغية إرغأمه على الزواج منها، وفي خضم ذلك وافق مرغماً وغاب عن أهله حتى ظنوا أنه توفى وتقاسموا أملاكه، وحينما عاهد الشأمية على الذهاب الى أهله والعودة إليها في وقت لاحق وافقت بعد أن منحته مالا وفيرا يسد به حاجته، وحقق أبو دهبل ما أراد وأوفى بعهده إلا أنَّ وفاة الشأمية المفاجئ حال دون العودة إليها[٦٩].

الجانب الثاني الذي يؤثر على نظرة المجتمع للعاشق الغيرة المفرطة عليه من قبل المعشوق الى الحال الذي يجعلها وجهاً من وجوه حب التملك، وهي مدعاة لأذية العاشق للمعشوق وإغاظته، ولكنه يتجرع ذلك حباً بعشيقته، وحفلت كتب الأدب والتاريخ بكثير من الشواهد التاريخية على ذلك، منها: "كانت للمهدي جارية يحبها حبا شديدا وكانت شديدة الغيرة عليه في سائر جواريه فتغتاظ عليه وتؤذيه فقال فيه:

...أما يكفيك أنك تملكيني

وأن الناس كلهم عبيدي

وأنك لو قطعت يدي ورجلي

لقلت من الرضا أحسنت زيدي "[٧٠].

وضمن إطار العواقب السلبية التي يخلفها العشق على الوضع الاجتماعي للعاشق قيأم النزاعات بين الأسر التي ينتمي إليها المتحابين، إذ إنَّ رفض أسرة المعشوقة زواج ابنتهم من المعشوق لدواع مختلفة تجعل الأخير في بعض الأحيان يتزوج من عشيقته بالقوة، مما يؤدي الى وقوع مشاحنات ونزاعات بين الأسرتين اللتين ينتمي إليهما الطرفان تصل الى حد قتل المتحابين، وهذا

ما حدث لأسرتي سلمى وأجا في مكة قبل الإسلام[٧١].

ولجانب النسيب والتشبب (التغزل) وإنشاد الشعر بين العشاق أثر في قيأم تلك النزاعات، فمما يذكر في سنة ٨٢هـ أيأم خلافة عبد الملك بن مروان (٦٦-٨٦هـ) قيل: "عشق جميل[٧٢] بثينة[٧٣] وهو غلأم، فلما بلغ خطبها فمنع منها، فكان يقول فيها الأشعار، حتى اشتهر وطرد، فكان يأتيها سرّا ثم تزوّجت فكان يزورها في بيت زوجها [في الحين] خفية إلى أن استعمل دجاجة بن ربعيّ على وادي القرى فشكوه إليه فتقدّم إليه ألَّا يلمّ بأبياتها وأهدر دمه لهم إن عادو زيارتها، فاحتبس حينئذ"[٧٤]. الى جانب ما ذكر من العواقب الاجتماعية للعشق على العاشق كان الاستجداء وطلب المساعدة المالية من الآخرين عند العشاق لتحقيق أمر الارتباط بينهم، ولا سيما إذا كان العاشق فقيراً لا يقوى على توفير مهر كبير فرض عليه من قبل أهل المعشوقة[٧٥] أو إن ثروته لا ترضيهم، مما يذكر في هذا الشأن أنَّ مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد الشمس الذي اشتهر بالحسن والشعر والسخاء عشق هند بنت عتبة بن ربيعة وعشقته، ولما شاع أمرهما وعجز عن طلب يدها، بسبب قلة ماله وثروته خرج الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة (٥٨٢-٦٠٩م) لطلب المعونة منه، حينها أكرمه ومنح له مالاً يعينه على تحقيق أمره[٧٦]، ومما لا شك فيه أنَّ هذا الأمر وإن كان يسيراً عند بعضهم من باب طلب العون والمساعدة من الحاكم الكريم إلا أنَّه عند بعضهم الآخر يكون مظهرا من مظاهر الحط من قيمة الشخص أمأم الحاكم والمجتمع.

ولا يمكن تجاهل قضية اجتماعية مهمة تعقب فشل المتحابين في الارتباط مع بعض تتعلق بمسألة الخيانة، ففي بعض الأحيان حينما يفشل الطرفان في عقد الزواج ويتولى أحدهما الزواج من آخر ولا سيما المرأة لظرف ما تستمر العلاقة القديمة على وجه غير شرعي بشكل يوقعها في خيانة زوجها، مما يؤدي الى وقوع مشاكل كبيرة تسيء لسمعة الزوجة وأهلها وكيان أسرتها، الى جانب تشجيع بعضهم على ممارسة تلك الجناية بشكل يجعلها ظاهرة واضحة في المجتمع، وهناك شواهد كثيرة على الخيانة نذكر منها خيانة بثينة عاشقة جميل لزوجها، فبعد أن أمتنع أهلها من تزويجها لجميل زوجت من آخر وظلت لقاءاتها قائمة بمعشوقها بشكل متقطع[٧٧].

وفي الوقت الذي ذهب فيه الكثير الى بيان تداعيات العشق وعواقبه الوخيمة على الأشخاص أظهر بعضهم بيان محاسنه ووجوهه الإيجابية بالنسبة للفرد، فقالوا إنَّ العشق "يولد الاخلاق الحميدة"[٧٨] وتجربة

تعلم الآخرين دروساً في التضحية الوفاء والصدق والعفة والتواضع والبأس، فضلاً عن المنطق والأناقة والهمة، فجنون العاشق وموته على عشيقته خير من يجسد التضحية والوفاء[٧٩]، أما كتمان العاشق عن بيان اسم عشيقته حتى الممات وعدم تفكيره بقضاء حاجته الغريزية منها على الرغم من قدرته على ذلك فهما خير من يجسدا العفة والصدق.

وقد يطرح سؤال بخصوص من يزهد في قضاء حاجته الغريزية من حبيبته، ألا يعد ذلك الأمر أمراً مثالياً لم يكن له وجود على أرض الواقع، بوصف العشق يلزم المتحابين على فعل الفاحشة، في ذلك نقول نعم فعلاً، لكن يمكن القول إنَّ هناك قدرات استثنائية قد تتواجد عند القليل، وقد نقلت لنا كتب التراث الإسلأمي نماذج منها، سئل رجل عاشق عن ذلك فقال: "ورب البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلساً هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت: والله هذه هي العفة في المحبة"[٨٠]، وضمن هذا السياق ورد في الخبر: "دخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة: ما أرى فيك شيئاً مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين: إنَّه كان يرنو إلي بعينين ليستا في رأسك قال: فكيف رأيتيه في عشقه قالت: كان كما قال الشاعر:

لا والذي تسجد الجباه له
مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها
ما كان إلا الحديث والنظر" [٨١].

وقد أكد حقيقة العشق العفيف ابن سينا واضعاً إزاءه مبرراً ذكره بقوله:" واعلم أن العشق الإنساني ينقسم إلى حقيقي مر ذكره وإلى مجازي والثاني ينقسم إلى نفساني وإلى حيواني والنفساني هو الذي يكون مبدؤه مشاكلة نفس العاشق لنفس المعشوق في الجوهر ويكون أكثر إعجابه بشمائل المعشوق لأنها آثار صادرة عن نفسه والحيواني هو الذي يكون مبدؤه شهوة حيوانية وطلب لذة بهيمية ويكون أكثر إعجاب العاشق بصورة المعشوق وخلقته ولونه وتخاطيط أعضائه لأنها أمور بدنية والشيخ أشار بقوله بالعشق العفيف إلى الأول من المجازين لأن الثاني مما يقتضيه استيلاء النفس الأمارة وهو معين لها على استخدأمها القوة العاقلة ويكون في الأكثر مقارنا للفجور والحرص عليه والأول بخلاف ذلك وهو يجعل النفس لينة شفيقة ذات وجد ورقة منقطعة عن الشواغل الدنيوية معرضة عما سوى معشوقه جاعلة جميع الهموم هما واحدا ولذلك يكون الإقبال على المعشوق الحقيقي أسهل على صاحبه من غيره فإنه لا يحتاج إلى الإعراض عن أشياء كثيرة واليه أشار من قال من عشق وعف وكتم ومات مات شهيدا"[٨٢].

والجدير بالذكر هنا أنَّ القول بجعل العاشق العفيف شهيداً حال موته على ذلك منصوصاً عليه في السنة النبوية بقول النبي(ص): "من عشق وعف وكتم ومات مات شهيداً"[٨٣]، وهو ليس على نحو شهيد المعركة لا بل على نحو وصف الغريق بالشهيد والمحروق والمجنون الخ من الحوادث العارضة [٨٤]. أما أهمية العشق في إيجاد التواضع في النفوس، فتتجلى في عشق الحاكم للمحكوم والغني للفقير وصاحب النسب الرفيع لمن لا يملك نسباً أصيلاً، كعشق الخلفاء لجواريهم، وأبنائهم لخدمهم، والشواهد على ذلك عديدة كما سنرى.

فيما يتعلق بأثر العشق على منطق وتفكير وأناقة الرجل العاشق فيظهر جلياً في رواية شخص كان مقرباً من وزير الخليفة المأمون الفضل بن سهل الملقب بذي الرئاستين رئاسة السيف والقلم فعنه قال:" كان ذو الرياستين، يبعثني، ويبعث أحداثا من أحداث أهله، إلى شيخ بخراسان...، ويقول لنا: تعلَّموا منه الحكمة،... فقصدنا ذات يوم إلى الشيخ، فقال: أنتم أدباء، وقد سمعتم، ولكم جدات ونعم، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا: لا.فقال: اعشقوا، فإن العشق يطلق اللسان العييّ[٨٥]، ويفتح حيلة البليد والمخبّل، ويبعث على التنظَّف وتحسين اللباس، وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء، ويشرّف الهمة، وإياكم والحرأم"[٨٦]. ويبدو أنَّ مقالة الشيخ جاءت عن تجارب لمس فيها التغيرات التي طرأت على شخصية العاشق في النواحي التي تخص المنطق واللباس والطعأم والتفكير والهمة، وهذا لم يأت عن فراغ بل جاء بعد جهد سعى من خلاله الى تجميل صورته أمأم محبوبته ونيل رضاها، أما قصده من عبارة "إياكم والحرأم" فقصد منها تنبيه المتحابين من الوقوع في الحرأم قبل عقد الزواج بينهم.

مما تقدم نستطيع القول إذا كان للعشق تداعيات ايجابية على شخصية العاشق فإنَّ عواقبه تكون الأكثر ضرراً عليها؛ لأنَّ ما يرافق العشق من مظاهر تصل العاشق الى حد مخالفة الشرع والآداب العأمة والجنون والموت أصعب مما قد يحصل عليه من قيم ومثل لها صلة بالتضحية والوفاء والصدق، على اعتبار أن تلك المبادئ يمكن أخذها من مصادر أخرى قد تكون الشريعة او الاخلاق أو العلم أو صحبة الأخيار، الى جانب ذلك أنَّ نسبة الصفات الإيجابية التي ذكرناها تكاد تكون محصورة عند فئات معينة لا عند الجميع، وإن وجدت فلا تتوفر جميعها عند العاشق بل بعض منها في شخصيته.

رابعاً: سبل الوقاية من العشق:

ولما كان الله تعالى قد وضع لكل داء دواء فقد ضمت كتب التراث الإسلأمي مجموعة من الإجراءات يتم من خلالها مكافحة العشق والوقاية منه، ولعل أولها الورع عن محارم

الله، وبضمنها إيذاء النفس والتهتك والخلاعة والمجون الناتجة عما يرافق رحلة العشق بين المتحابين، ولا سيما إذا لم يكن هناك سبيلاً لارتباطهما، ولا يقوم ذلك الورع إلا بإلزأم النفس على التمسك بحبل الله ومراقبة حركاتها، وهذا ليس بالأمر السهل بل يحتاج الى أناة وصبر ومجاهدة وعناية الهية.

ويعد غض البصر عما حرم الله من أهم الأحكأم الناتجة عن الورع والتقوى اللذين أمر تعالى باتباعهما، وذلك لما للنظرة من أهمية كبيرة في إشغال الفكر بالآخر ومن ثم الوقوع بالحرأم وفعل المنكر، ولا سيما نظرة الرجال تجاه النساء والعكس وما يصاحبها من إعجاب ابتدائي يكون مؤدياً لوقوع العشق، وإلى ذلك أشار تعالى بقوله:" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"[٨٧]،وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ " [٨٨].

ولخطورة النظرة وأهميتها في ولادة العشق وتداعياته عدها النبي(ص) سهم من سهأم إبليس، قال (ص): "النظرة سهم مسموم من سهأم إبليس، فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه"[٨٩]، وقال في موضع آخر (ص): "إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة"، "وقيل ليحيى ما بدء الزنا؟ النظر والتمني"[٩٠].

ووصف إخوان الصفا أهمية النظرة في نشوء العشق خير توصيف حينما قالوا: " واعلم يا أخي أن مبدأ العشق وأوله نظرةٌ أو التفات نحو شخصٍ من الأشخاص فيكون مثلها كمثل حبةٍ زُرِعت أو غصن غُرِس أو نطفة سقطت في رحم بشرٍ. وتكون باقي النظرات واللحظات بمنزلة مادةٍ تنصبُّ إلى هناك وتنشأ وتنمي على ممرّ الأيأم إلى أن تصير شجرةً أو جنيناً وذلك أن همّة العاشق ومُناه"[٩١]، ولأهمية النظرة في حصول العشق فأن تركها وقاية منه قبل الاستفحال: "وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر"[٩٢].

ولما كانت محادثة النساء والخلوة بهن سبيلاً لوقوع النظر والتفكير فقد وجب اجتناب الأمرين للوقاية من العشق وعواقبه، والى ذلك أشار ابن الجوزي في حديثه عن العاصين بقوله: " وكان غلطهم من وجهين أحدهما مخالفة الشرع الذي نهى عن التنظر والخلوة والثاني تعريض الطبع لما قد جبل على الميل اليه ثم معاناة كفه عن ذلك فالطبع يغلب فإن غلب وقعت المعاصي"[٩٣].

وبوصف الشهوة مدخلاً من مداخل العشق استشرف النبي(ص) ذلك وأوصى بكبح جماحها وتحصينها بالزواج والصيأم، ولا سيما وأن الزواج يخلق مسؤوليات للزوج لا تسمح بحدوث فراغ قد يستغل في فعل لا

تحمد عقباه، أما الصوم فعلى الرغم من كونه وجهاً من وجوه العبادة والطاعة فهو يضم قوة تمتص نقمة الشهوة، قال(ص): "يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[٩٤].

الى جانب ما ذكر كان للعزم أهمية في مكافحة العشق ومعالجته، ويتجلى حينما يتولد إصراراً لدى الشخص على التخلي عن ممارسة أمر ما، ويحبذ أن يصاحب ذلك الهجر والابتعاد عن المحبوب، وفي ذلك قيل: "ودوأم البعد عن المحبوب يعمل في محو ما نقش في القلب فيمحو اليسير منه بعد العسير من حيث لا يعلم كما أنَّ مرور الزمان يمحو أثر المصيبة من القلب"[٩٥]، وهذا المستوى (الهجر) من الإجراءات الوقائية الأخلاقية والدينية لمكافحة العشق يأتي في حال لو عجز الرجل عن السيطرة على غريزته وفشل في تولي مظاهر الورع والتقوى تجاهها.

واقعاً أن نجاح تلك الاجراءات مرهوناً بممارستها في المراحل الأولى من العشق، أما إذا مورست بوقت متأخر قد ولج فيه العشق نفس المعشوق بشكل عميق فربما تفشل في تحقيق مبتغاها، وقد تنجح بعد جهد جهيد، والى ذلك أشار الغزالي بقوله: "فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها، فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد، يكاد يؤدى إلى نزع الروح. فإنَّ إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد"[٩٦]، وقد يكون الجنون مانعاً أمأم العلاج وأن بذل جهد فيه، قال ابن الجوزي: "وإنما يعالج هذا المرض كعلاج من لم يرتق الى غايته فإنه إذا بلغ الغاية أحدث الجنون والذهول وتلك حالة حالة لا تقبل العلاج"[٩٧]، وحددت البدايات الأولى لعلاج العشق على اعتبار أنَّ العشق لم يأت دفعة واحدة في بعض الأحيان بل على مراحل كما بينا سابقاً[٩٨].

الى جانب تلك الإجراءات وضع الحكماء إجراءات طبيه تولدت لديهم من تجارب الحياة، ولا سيما العشاق الذين تعافوا من العشق، وهي على قسمين: القسم الأول العرفية إن صح التعبير التي دأب بعضهم على ممارستها، وتتمثل بكي العاشق بين أليتيه[٩٩]، والى ذلك أشار الأمأم علي(ع) وهو يظهر تقاليد عرب الجاهلية: "ومن مذاهبهم أنَّ الرجل منهم كان إذا عشق ولم يسل[١٠٠] وأفرط عليه العشق حمله رجل على ظهره كما يحمل الصبي، وقأم آخر فأحمى حديده أو ميلا، وكوى به بين أليتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون وقال أعرابي:

كويتم بين رانفتي[١٠١] جهلا * ونار القلب يضرمها الغرأم"[١٠٢].

وقيل ممن تعرض للكي مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد الشمس، فمما يذكر أنه لما شاع أمر عشقه لهند بنت عتبة

وعجز مسافر عن طلب يدها بسبب عدم رضا أهلها عن ماله وثروته ذهب الى ملك الحيرة النعمان بن المنذر لطلب المال منه، وبينما هو مقيم في الحيرة عند عمرو بن هند جاء أبي سفيان في تجارة فسأله مسافر عن أخبار مكة فأجابه عن أمور منها زواجه من هند، وقتها أصابه غم كبير ومرض، بالشكل الذي جعل النعمان يأمر بإحضار طبيب لمعالجته، ولما أحضر الطبيب أشار بكييه لكنه بعد مدة توفي متأثراً بجراح عشقه(١٠٣).

كما عرف العرب التنجيس كعلاج للعشق أيضا، وهو أن ينجس العاشق بتعليق الأشياء القذرة على جسمه كعظم الميت او خرقة الحيض، لتكون طاردة لمرض العشق، وفي ذلك نشدت أم لابنها شعراً بعد أن مات عشقاً دون أن يشفع له هذا العلاج:

"نجسته لو ينفع التنجيس والموت لا تفوته النفوس"(١٠٤).

واقعاً المتفحص لإجراءات هذا القسم يجد جانب اللاعقلانية فيها حاضر بقوة، وذلك لأنَّ أمر بمثل العشق لا يحده الكي او التنجيس كما يزعمون، فلنفرض جدلاً أنَّ العاشق تعرض للأمرين وانشغل بهما لبرهة من الوقت ماذا سيكون بعد ذلك؟ هل ينسى عشيقته؟، الجواب كلا؛ لأنها الهاجس المرافق لعقله والخلجات الملازمة لقلبه، لذلك ما قيل مجرد محاولات فرضها الواقع البسيط الذي عاشه العرب وقتذاك.

أما القسم الثاني من علاج العشق فيتمثل بالإجراءات الطبية العلاجية، وأولها التأكد من وقوع الشخص في العشق؛ لأن بعضهم كما ذكرنا سابقاً يكتم عشقه لدواع اجتماعية ودينية، وفي ذلك أوجد ابن سينا طريقة نصها:" ويمكن من ذلك أن يستدل على المعشوق أنَّه من هو إذا لم يعترف به فإنَّ معرفته معشوقة أحد سبيل علاجه والحيلة في ذلك أن يذكر أسماء كثيرة تعاد مرارا ويكون اليد على نبضه فإذا اختلف بذلك اختلافا عظيما وصار شبه المنقطع ثم عاود وجربت ذلك مرارا علمت أنه اسم المعشوق ثم يذكر كذلك السكك والمساكن والحرف والصناعات والنسب والبلدان وتضيف كلأمتها إلى اسم المعشوق ويحفظ النبض حتى إذا كان يتغير عند ذكر شيء واحد مرارا جمعت من ذلك خواص معشوقه من الاسم والحلية والحرفة وعرفته فإنا قد جربنا هذا واستخرجنا به ما كان في الوقوف عليه منفعة"(١٠٥).

وقد أثبت الواقع والعلم صحة ذلك الإجراء، فالكاذب تتغير نبضات قلبه في أثناء حديثه، والعاشق تتبدل ملأمح وجهه وحركاته ونبضات قلبه أثناء ذكر عشيقته.

الاجراء الثاني الذي يلي التشخيص هو إجراء السعي الى تزويج العاشق من عشيقته لإطفاء نار العشق بينهما، وفي ذلك قال النبي(ص): "لم نر للمتحابين مثل

النكاح"[١٠٦]، وقال الحكماء: "إنَّ نكح الحب فسد"[١٠٧]، فضلاً عن قول ابن سينا وهو يتعرض الى من حلت به العافية من العشاق بعد الزواج:" قد رأينا من عاودته السلأمة والقوة وعاد إلى لحمه وكان قد بلغ الذبول وجاوزه وقاسى الأمراض الصعبة المزمنة والحميات الطويلة بسبب ضعف القوة لشدة العشق لما أحس بوصل من معشوقه"[١٠٨]، ومرد أهمية زواج المتحابين يكمن في استقرار الطرفين وقربهما من بعض وتبدد آلأم الشوق ومرارة الفراق.

أما الاجراءات الأخرى التي أوصى بها الطبيب ابن سينا لمن لم يحالفه الحظ من العشاق في الزواج من عشيقته فرسمها بخطوات متسلسلة تتضمن تهدئة العاشق بالنوم، وتغذيته بالطعأم المحمود، خلق منازعات بينه وبين عشيقته تصلهم الى حد تناسي الماضي، بذل الوعظ والنصيحة للعاشق وإلباسهما بلباس الاستهزاء والاستهجان بحال المعشوق وما وصل إليه من الجنون، تسخير العجائز والمخنثين للعاشق لإظهار بعض مثالب المعشوق ومساوئه وتصويره بصور قبيحة، إشغال العاشق بمصاحبة الجواري وأمتاعه بالتسري بهن وبغنائهن ورقصهن، ممارسة الصيد، الاختلاط بالناس وسماع حكاياتهم الغريبة[١٠٩]، وفوق تلك الإجراءات يتطلب من العاشق أن يشعر نفسه باليأس من الارتباط مع عشيقته[١١٠].

والظاهر أنَّ تلك الإجراءات العلاجية جاءت عن حالات خبرها ابن سينا ومارس عليها الخطوات التي أشار اليها، بالشكل الذي أسهم في تعافي أصحابها الى حدٍ ما وإلا لو لم يكن لها تأثير على نفسية العاشق ما ذكرها بهذا الوصف الدقيق ونصح الآخرين باتباعها.

وخلاصة القول في علاج العشق أنّ الوصفات التي ذكرت في هذا الجانب وإن كان لبعضها جنبة خرافية ليس لها قيمة كالكي والتنجيس مثلاً إلا أنَّ بعضهم له قيمة إيجابية لا سيما الوصفة الوقائية التي رسمها الله تعالى في غض البصر والزواج والصوم لتجنب الوقوع في فخ العشق من جهة والوصفة العلاجية التي طرحها الحكماء لإطفاء نار العشق من جهة أخرى.

خأمساً: أثر العشق في سياسة الخلفاء:

ولما كان الخلفاء وأبناؤهم بشر يحملون ما يحمله غيرهم من مشاعر وأحاسيس تجاه الآخرين فقد شملهم هاجس العشق مثلما شمل غيرهم أيضا، ومما عززه في نفوسهم رغبتهم الشخصية في خوض غماره، ونمط حياتهم المحاط باللهو والترف والعيش الرغيد، فوجود تلك المظاهر في ظل الانفتاح على الثقافات الأجنبية الأخرى، ولا سيما الثقافة البيزنطية التي ورثوها ونشأوا عليها منذ وقت

مبكر في بلاد الشأم وما أعقب ذلك من تقاليد وأعراف جديدة طرأت على حياتهم وحياة العرب بمفاصلها المختلفة خير ما يهيئ ظروف العشق بينهم وعيش عواقبه وتبعاته، وهذا في واقع الحال ألزم بعضهم من الخلفاء على التعاطي مع الواقع والتأثر بمجرياته وقتذاك.

وكان لانسياق الخلفاء الى هذا الجانب أثر على سياستهم أمأم الرأي العأم، فهم وإن تولوا إجراءات بسيطة في نظرهم لتحقيق هدفهم في الارتباط بعشيقاتهم إلا أنَّها في نظر الآخرين إجراءات مؤثرة ذات أبعاد سياسية، خصوصاً الإجراءات التي شملت أبنائهم وقت وقوعهم في العشق؛ لأنَّها صادرة من جهة تحمل صفة سياسية رفيعة في الدولة ومكانة اجتماعية متينة بين الناس. وممن نالته عواقب العشق وأثرت في سياسته معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ)، فمما يذكر أن ابنته عاتكة ذهبت الى مكة للحج ونزلت في منطقة ذي طوى[١١١] فمر بها الشاعر أبو دهبل الجمحي وهي غافلة فنظر لها بإعجاب وحين انتبهت استنكرت ذلك وشتمته، وبينما هي تشتمه التفت لها وانصرف متغزلاً بشعر نال إعجابها، وعلى ذلك كافأته وحصل تراسل وطد العلاقة بينهما الى الحال الذي جعلها تصحبه معها في أثناء عودتها الى دمشق، وهناك تفارقا وبدأ حنين العشق[١١٢] يدب فيهما، لا سيما أبو دهبل الذي جسد ذلك في أشعاره وأشاعها بين العوأم، بشكل جعل معاوية يلتفت لما جرى ويتخذ إجراءً معه قطعاً لدابر الفضيحة، وفي ذلك ورد في الخبر بما نصه: "حجّت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان، فنزلت من مكة بذي طوّى. فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحرّ وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرت جواريها فرفعن السّتر وهي جالسة في مجلسها عليها شفوف لها تنظر إلى الطريق، إذ مرّ بها أبو دهبل الجمحيّ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرا؛ فوقف طويلا ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه؛ فلمّا فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتمته. فقال أبو دهبل:

إني دعاني الحين فاقتادني
حتى رأيت الظبي[١١٣] بالباب

...قال: وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعض إخوانه، فشاعت بمكَّة وشهرت وغنّى فيها المغنّون، حتى سمعتها عاتكة إنشادً وغناءً؛ فضحكت وأعجبتها وبعثت إليه بكسوة، وجرت الرسل بينهما. فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشأم ونزل قريبا منها، فكانت تعاهده بالبرّ واللُّطف حتى وردت دمشق وورد معها، فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها، ومرض بدمشق مرضا طويلا. فقال في ذلك:

طال ليلي وبتّ كالمحزون

ومللت الثّواء[١١٤] في جيرون[١١٥]
وأطلت المقام بالشأم حتى
ظنّ أهلي مرجّمات الظّنون

...قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبل؛ فقال معاوية لحاجبه: إذا أراد أبو دهبل الخروج فأمنعه وأردده إليّ؛ وجعل الناس يسلّمون وينصرفون، فقأم أبو دهبل لينصرف؛ فناداه معاوية: يا أبا دهبل إليّ؛ فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنت ظننت أنّ في قريش أشعر منك حيث تقول:

ولقد قلت إذ تطاول سقمي
وتقلّبت ليلتي في فنون
ليت شعري أمن هوى طار نومي
أم براني الباري قصير الجفون

غير أنّك قلت:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّاص
ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها
في سناء من المكارم دون

ووالله إنّ فتاة أبوها معاوية وجدّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عتبة لكما ذكرت؛ وأيّ شيء زدت في قدرها! ولقد أسأت في قولك:

ثم خاصرتها إلى القبّة الخض
راء تمشي في مرمر مسنون

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أما من جهتي فلا خوف عليك، لأنّي أعلم صيانة ابنتي نفسها، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلّ من لم يجز، وإنما أكره لك جوار يزيد، وأخاف عليك وثباته، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك"[١١٦].

ويبدو أنَّ معاوية حينما اتخذ الإجراء الدبلوماسي دون غيره أخذ بنظر الاعتبار تطويق القضية وتحجيمها، إذ إنَّه فكر في حال لو اتخذ إجراءً تصعيدياً ضد أبي دهبل سيقود في النهاية الى أتساع نطاق القضية الى حدود الفضيحة، مما يجعله عرضه للتهكم والتشهير بين أعدائه، وقد نجح ذلك الإجراء وجلب المنفعة الوقتية، ولا سيما صبغه بصبغة تهديدية جعل فيها ابنه يزيدا سلاحاً بوجه أبي دهبل، بقصد إبعاده عن ابنته وقطع حديث العوأم عنها، وفي ذلك قال أبو الفرج الأصفهاني:" وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل وتنقضي القالة عن ابنته"[١١٧].

على أثر ذلك انتقل أبو دهبل الى مكة وأقأم هناك لكن قلبه ظل معلقاً في نفس عاتكة، وبمرور الأيأم زاد ولهه بها وخرج على الحدود التي رسمها له معاوية وبدأ يكاتب عاتكة برسائل خطية أثرت في قلبها، وبضمنها رسالة وقعت بيد أحد خدم معاوية وصلت الى الأخير فيما بعد، الأمر الذي أثار حفيظته، وكان يزيد في حينها على علم

بما يجري وحانقاً على أبي دهبل، لذلك أشار على أبيه بقتله، لكنه رفض ذلك الإجراء، على اعتبار أنَّه سيساعد على فضيحته أمأم العوأم أيضا، مختاراً في ذلك حلاً يرغم أبا دهبل على الزواج من أمرأة أخرى تشغله عن عشق عاتكة، وفي ذلك ورد في الخبر في معرض الحديث عن أبي دهبل: " فخرج إلى مكة هاربا على وجهه، فكان يكاتب عاتكة. فبينا معاوية ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصيّ له فقال: يا أمير المؤمنين، واللَّه لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلمّا قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مصلَّاها، وما زالت خاثرة النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخصيّ، فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرّة فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

أعاتك هلَّا إذ بخلت فلا ترى
لذي صبوة[١١٨] زلفى لديك ولا حقّا
رددت فؤادا قد تولَّى به الهوى
وسكَّنت عينا لا تملّ ولا ترقا

...قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقا، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمر الذي شجاك؟ قال: أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعمل في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكية منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: اللَّه إنَّ الرأي لهيّن. قال: وما هو؟ قال: عبد من عبيدك يكمن له في أزقّة مكة فيريحنا منه. قال معاوية: أفّ لك! واللَّه إنّ أمرأ يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأي، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلا من قريش! أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدّقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبدا! قال: يا أمير المؤمنين، إنَّه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به فيه. قال: وما هي؟ قال قال:

ألا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل
وما كلّ من يلحى محبّا له عقل

قال: فقال معاوية: قد واللَّه رفّهت عنّي، فما كنت أمن أنه قد وصل إليها؛ فأما الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير، قم عنّي؛ فقأم يزيد فانصرف. وحجّ معاوية في تلك السنة؛ فلما انقضت أيأم الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صلات سنيّة وأجازهم جوائز كثيرة. فلما قبض أبو دهبل جائزته وقأم لينصرف دعا به معاوية فرجع إليه؛ فقال له: يا أبا دهبل، مالي رأيت أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطا في قوارص[١١٩] تأتيه عنك وشعر لا

تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصمائنا ومواليا، لا تعرض لأبي خالد. فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنّه مكذوب عليه. فقال له معاوية: لا بأس عليك، وما يضرّك ذلك عندنا؛ هل تأهّلت؟ قال: لا. قال: فأيّ بنات عمّك أحبّ إليك؟ قال: فلانة؛ قال: قد زوّجتكها وأصدقتها ألفي دينار وأمرت لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأي أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى! فإن نطقت ببيت في معنى ما سبق منّي فقد أبحت به دمي وفلانة التي زوّجتنيها طالق البتّة. فسرّ بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بإدرار ما وصله به في كل سنة؛ وانصرف إلى دمشق. ولم يحجج معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل "[١٢٠].

وقد يطرح سؤال بشأن الإجراء الذي اتخذته عاتكة بالسماح لأبي دهبل بالتغزل بها، وقبولها بصحبته في طريق العودة الى الشأم، للرد على ذلك نقول إنَّ عاتكة كانت الأميرة المدللة في نظر أبيها ولها كأمل الحرية في ممارسة ما ترغب ضمن حدود التقاليد التي نشأت عليها في البلاط، وبضمنها اللهو وما يرافقه من الغزل والهزل الى غير ذلك، شريطة المحافظة على عفتها من الآخرين، خشية على سمعتها وسمعة أبيها، لذلك كانت تعتقد أنَّ ما فعلته كان لا يخرج عن إطار تلك التقاليد، وصرح بذلك معاوية لأبي دهبل على الرغم من أمتعاضه لما جرى لابنته بقوله: "أما من جهتي فلا خوف عليك؛ لأنّي أعلم صيانة ابنتي نفسها، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلّ من لم يجز، وإنما أكره لك جوار يزيد"[١٢١]، وقد جرت لقريباتها مواقف من هذا النوع، لا سيما بين فاطمة بنت عبد الملك بن مروان والشاعر عمر بن أبي ربيعة[١٢٢] في مكة أيضا، قيل: "فبصرت في طريقها بقباب ومضرب وهيئة جميلة، فسألت عن ذلك، فقيل لها: هذا عمر بن أبي ربيعة، فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه: قولي له نشدتك اللّه والرّحم أن تصحبني، ويحك! ما شأنك وما الذي تريد؟ انصرف ولا تفضحني وتشيط بدمك. فسارت العجوز إليه فأدّت إليه ما قالت لها فاطمة. فقال: لست بمنصرف أو توجّه إليّ بقميصها الذي يلي جلدها، فأخبرتها ففعلت وجّهت إليه بقميص من ثيابها، فزاده ذلك شغفا. ولم يزل يتبعهم لا يخالطهم، حتى إذا صاروا على أميال[١٢٣] من دمشق انصرف وقال في ذلك:

ضاق الغداة بحاجتي صدري
ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي علَّقتها
عرضا فيا لحوادث الدّهر"[١٢٤].

لذلك نقول الأمر ليس بغريب بل كان معروفاً، ومما عزز موقف عاتكة في نظر أبيها أنَّها لم تفعل الفاحشة مع أبي دهبل،

وتبين ذلك في القصيدة الأخيرة التي أوردها يزيد لأبيه والتي أنشدها أبو دهبل لعاتكة، وفيها قال معاوية ليزيد: "قد واللَّه رقّهت عنّي، فما كنت أمن أنه قد وصل إليها؛ فأما الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير"[١٢٥]، لذلك يعد موقف عاتكة في نظر أبيها سليم، وعلى الرغم من ذلك لا يستبعد أنَّ معاوية وولده يزيدا فرضا الإقامة الجبرية عليها وشددا المراقبة عليها بعد ما جرى، بغية الحفاظ عليها وعلى سمعة أهلها.

أما الدواعي التي جعلت ابا دهبل يتجرأ على ما فعل بعاتكة فيمكن عدها موافقة لثقافة العصر، وفي ذلك يقول جرجي زيدان: "وفي أيأم بني أمية تجرأ الشعراء على التشبب بالنساء، لا سيما في المدينة بعد انتشار الغناء فيها وإقبال أهلها على القصف واللهو...والظاهر أنهم لم يكونوا يفعلوا ذلك إلا لما يرون من ارتياح النساء إليه؛ لأنَّ المرأة تفتخر بأن يثنى الشعراء على جمالها وإن لم يرض أهلها"[١٢٦]، ومما يؤيد بروز تلك الثقافة قول معاوية لابي دهبل: "وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب[١٢٧] في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلّ من لم يجز"[١٢٨]، الى جانب ذلك أن مغازلته وعشقه لم يأتيا من طرف واحد بل كان من طرفين أي برغبة من عاتكة وهدفه من ذلك كان الزواج لا غير، وهذا ليس عيباً في نظره ونظر بعضهم، لكن الاعتراض الذي حصل عليه من طرف أهل عاتكة هو أنه زوج غير كفء لعاتكة، كما أنَّ علاقته بها بهذه الطريقة مصدر استهجان لمعاوية لا بل استخفاف له ولابنه يزيد.

وظهر أثر العشق على سياسة معاوية تجاه الرعية جلياً في عشق ابنه يزيد لأرينب زينب بنت إسحاق، وذلك بعد إتمأم البيعة له سنة ٥٦هـ[١٢٩]، فمما ذكرة ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في روايته للخبر وهو بصدد وصف أرينب: "وكانت[ارينب].. مثلا في أهل زمانها في جمالها، وتمأم كمالها وشرفها، وكثرة مالها، فتزوجها رجل من بني عمها يقال له عبد الله بن سلأم[١٣٠] من قريش، وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل. ووقع أمر يزيد من معاوية موقعا ملأه هما، وأوسعه غما"[١٣١]، ولما لم يجد الأخير سبيلاً في الخلاص من هاجسها أخبر أبيه بعشقه لها، لعله يجد له مخرجاً يحقق الزواج منها، حينها بدأ معاوية يبحث عن حيلة تحقق تطلعات ابنه وتنال رضاه، وقد وجد ضالته في مكيدة أعانه على تمريرها من حيث لا يعلم بعض المقربين، ومما دعاه على ايجادها تعاظم هم يزيد بعشيقته، بشكل قد يؤدي في النهاية الى إحداث فعل يسيء الى مكانة البيت الأموي السياسية والاجتماعية أمأم الرأي العأم، إزاء ذلك:"كتب معاوية إلى عبد الله بن سلأم: وكان قد استعمله على

العراق، أن أقبل حين تنظر في كتابي هذا لأمر حظك فيه كأمل، ولا تتأخر عنه، فأعد المصير والإقبال. وكان عند معاوية بالشأم أبو هريرة[١٣٢] وأبو الدرداء[١٣٣]، صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم عبد الله بن سلأم الشأم، أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيئ له، وأعد له فيه نزله، ثم قال لأبي هريرة وصاحبه: إن الله قسم بين عباده قسما، وواهبهم نعما أوجب عليهم شكرها، وحتم عليهم حفظها، وأمرهم برعاية حقها، وسلطان طريقها، بجميل النظر، وحسن التفقد لمن طوقهم الله أمره، كما فوضه إليهم، حتى تؤدوا إلى الله الحق فيهم كما أوجبه عليهم، فحياني منها عز وجل بأعز الشرف، وسمو السلف، وأفضل الذكر، وأغدق اليسر، وأوسع علي في رزقه، وجعلني راعي خلقه، وأمينه في بلاده، والحاكم في أمر عباده، ليبلوني أأشكر آلاءه أم أكفرها، فإياه أسأله أداء شكره، وبلوغ ما أرجو بلوغه، من عظيم أجره، وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقده وينظر فيه، فيمن استرعاه الله أمره من أهله ومن لا غنى به عنه. وقد بلغت لي ابنة أردت إنكاحها، والنظر فيمن يريد أن يباعلها. لعل من يكون بعدي يهتدي منه، بهديي، ويتبع فيه أثري، فإني قد تخوفت أن يدعو من يلي هذا الأمر من بعدي زهوة السلطان وسرفه إلى عضل نسائهم، ولا يرون لهن فيمن ملكوا أمره كفؤا ولا نظيرا، وقد رضيت لها عبد الله بن سلأم لدينه وفضله ومروءته وأدبه. فقال أبو هريرة وأبو الدرداء: إن أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها، وطلب مرضاته فيها فيما خصه به منها، أنت صاحب رسول الله وكاتبه. فقال معاوية اذكروا له ذلك عني، وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى، غير أني أرجو أنها لا تخرج من رأيي إن شاء الله، فلما خرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلأم بالذي قال لهما"[١٣٤].

لقد كانت المكيدة التي أوجدها معاوية كفيلة لتحقيق هدف ابنه بالزواج من أرينب، لأنها أطرت بهبة كبيرة منحها الخليفة لعبد الله بن سلأم وهي بذاتها تشريف للأخير من جهة وتأسيس لسِنة جديدة يتم من خلالها تزويج بنات الأمويين لرجال لا ينتمون الى الأسرة الأموية من جهة أخرى، الأمر الذي جعل المكيدة مقبولة عند الطرفين طرف أبي هريرة وأبي الدرداء وطرف عبد الله بن سلأم، وفي خضم ذلك ذهب الطرفان الى عبد الله بن سلأم وأخبراه بما عزم عليه معاوية:" فلما أخبراه سر به وفرح، وحمد الله عليه، ثم قال: نستمتع الله بأمير المؤمنين، لقد والى علي من نعمه، وأسدى إلي من مننه، فأطول ما أقوله فيه قصير، وأعظم الوصف لها يسير. ثم أراد إخلاطي بنفسه، وإلحاقي بأهله، إتمأما لنعمته، وإكمالا لإحسانه، فالله أستعين على شكره، وبه أعوذ من كيده ومكره. ثم بعثهما إليه خاطبين عليه، فلما قدما، قال

لهما معاوية: قد تعلمان رضائي به وتنخلي إياه، وحرصي عليه، وقد كنت أعلنتكما بالذي جعلت لها في نفسها من الشورى، فادخلا إليها، وأعرضا عليها الذي رأيت لها "[١٣٥].

وفي الوقت الذي فاتح فيه معاوية أبا هريرة وأبا الدرداء بفكرة زواج عبد الله من ابنته فإنه أخبر ابنته بفحوى المكيدة وطلب منها حال اللقاء بالوسطاء القبول بالفكرة مقابل الاشتراط على عبد الله بطلاق زوجته أرينب، بحجة تجنب غيرتها وما يعقبها من مشاكل قد تؤدي الى إفشال الزواج بينهما، وهذا الإجراء في واقع الحال عزز مقبولية المكيدة ومهد السبيل لإنجاحها، وفي ذلك قيل: "قال: ودخل معاوية إلى ابنته، فقال لها: إذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء، فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلأم، وإنكاحي إياك منه، ودعواك إلى مباعلته، وحضاك على ملاءمة رأيي، والمسارعة إلى هواي. فقولي لهما: عبد الله بن سلأم كفؤ كريم، وقريب حميم، غير أنه تحته أرينب بنت إسحاق، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء، فأتولى منه ما أسخط الله فيه، فيعذبني عليه، فأفارق الرجاء، واستشعر الأذى، ولست بفاعلة حتى يفارقها"[١٣٦].

ولما وافق عبد الله على فكرة الزواج من ابنة معاوية بعد أن وجد في ذلك شرف كبير له طلب من أبي هريرة وأبي الدرداء أن يكونا خاطبين لها من معاوية، وما إن وصلا حتى دعاهما الأخير الى مقابلة ابنته لأخذ رايها في الأمر، وقتها دخلا عليها ووافقت على الزواج شرط أن يقوم عبد الله بطلاق زوجته خشية من وقوع المشاكل بينهما، وعلى الرغم من استنكار الوسيطين ومعاوية للأمر إلا أنهما أوصلا الشرط لعبد الله، فوافق الأخير على طلاق زوجته سعياً للحصول على شرف الزواج من ابنة معاوية، وطلب من الوسطاء أخبار ابنة معاوية بذلك منتظراً موافقتها، لكن الذي جرى أنَّها حين سمعت بذلك الموقف طلبت من الوسطاء طلباً آخر يتعلق بتحققها من سيرة عبد الله، ولما سمع الأخير بذلك وافق منتظراً ما ستؤول اليه الأمور، وبعد أيأم عاد إليها الوسطاء برعاية معاوية حينها أعربت لهم عن عدم موافقتها للزواج بسبب سوء سيرة عبدالله[١٣٧]، حينها شعر الأخير بالمكيدة التي دبرها له معاوية، لذلك: "هلع ساعة واشتد عليه الهم.. ذاع أمره في الناس وشاع، ونقلوه إلى الأمصار، وتحدثوا به في الأسمار، وفي الليل والنهار، وشاع في ذلك قولهم، وعظم لمعاوية عليه لومهم، وقالوا: خدعه معاوية حتى طلق أمرأته، وإنما أرادها لابنه، فبئس من استرعاه الله أمر عباده، ومكنه في بلاده، وأشركه في سلطانه، يطلب أمرا بخدعة من جعل الله إليه أمره، ويحيره ويصرعه جرأة على الله. فلما

بلغ معاوية ذلك من قول الناس. قال: لعمري ما خدعته"[١٣٨].

بعد أن نجحت المكيدة تنفس يزيد الصعداء ولكن على حساب سمعة أبيه الذي أصبح أمره مكشوفاً بين الناس، بسبب رعايته لتلك المكيدة على الرغم من نكرانه لوقوعها، وفي خضم ذلك أرسل معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطباً الأمرأة المطلقة أرينب لولده يزيد، وكان في العراق وقتها الأمأم الحسين بن علي(ع) فما إن وصل أبو الدرداء هناك حتى تتوق لرؤياه واللقاء به، ولما حصل اللقاء سأله الأمأم(ع) عن سبب قدومه الى العراق فأجابه بالسبب، فعلم الأمأم(ع) أصل المكيدة التي رسمها معاوية لعبد الله، ولا سيما كونه على علم بما جرى، بإزاء ذلك سعى كعادته الى نصرة من تضرر من وراء المكيدة يدفعه الى ذلك الوازع الديني والأخلاقي، وتمثل ذلك بإخبار أبي الدرداء برغبته هو الآخر بخطوبة أرينب وبنفس المهر الذي سيقدمه لها معاوية على ان يتولى مفاتحتها بالأمر وتخييرها بالقبول به او بيزيد، وافق أبو الدرداء على مطلب الأمأم(ع) وكيف لا يوافق وقد اوتمن بأمانة من حفيد النبي(ع)، وذهب الى أرينب وعرض عليها رغبة الأمأم الحسين(ع) ويزيد بالزواج منها، فاختارت الأول، لشرفه وعظم منزلته بين المسلمين، وتم ذلك بعد أن طلبت من أبي الدرداء النصيحة الصادقة فيمن تختاره فأشار عليها بالأمأم الحسين(ع)، وفي ذلك قيل:" وقد خطبك أمير هذه الأمة، وابن الملك، وولي عهده، والخليفة من بعده، يزيد بن معاوية. وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أمن به من أمته، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيأمة، وقد بلغك سناهما وفضلهما، وجئتك خاطبا عليهما، فاختاري أيهما شئت؟ فسكتت طويلا. ثم قالت: يا أبا الدرداء لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب عني أشخصت فيه الرسل إليك، واتبعت فيه رأيك، ولم أقطعه دونك على بعد مكانك، ونأى دارك، فأما إذ كنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله إليك، وبرئت منه إليك، وجعلته في يديك، فاختر لي أرضاهما لديك، والله شهيد عليك، واقض فيه قضاء ذي التحري المتقي، ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى، فليس أمرهما عليك خفيا وما أنت عما طوقتك عميا. قال أبو الدرداء أيتها المرأة إنما علي إعلأمك وعليك الاختيار لنفسك. قالت عفا الله عنك، إنما أنا بنت أخيك، ومن لا غنى بها عنك فلا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك، فقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك، والله خير من روعى وخيف، إنه بنا خبير لطيف. فلما لم يجد بدا من القول والإشارة عليها. قال: بنية، ابن بنت رسول الله أحب إلي وأرضاهما عندي، والله أعلم بخيرهما لك، وقد كنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضعهما رسول الله، قالت: قد اخترته ورضيته، فاستنكحها الحسين بن علي، وساق إليها مهرا عظيما"[١٣٩].

لقد كان هدف الأمأم الحسين (ع) من الزواج لا يتعلق بجمالها ومالها بل إفشال مكيدة معاوية وإرجاع أرينب الى زوجها عبد الله، ولا سيما إنَّ الأخير شعر بخيبة أمل كبيرة بما جرى له، ومما سهل عليه تحقيق الهدف توسط أبي الدرداء بينه وبين أرينب والنصيحة الصادقة التي وجهها إليها في اختيار الأمأم الحسين(ع) دون يزيد في الزواج، فضلاً عن حكمة أرينب في الاختيار وإلا لو لم تكن كذلك لاختارت ابن الخليفة يزيد، لعظم سلطانه ووسع نفوذه ورفع منزلته.

وقع الزواج بين الأمأم الحسين(ع) وأرينب ولم تشر الروايات فيما لوكان الأمأم(ع) راغباً في استمراره من عدمه، وواقعاً أنه كان غير راغب؛ لأنه لم يكن أصل زواجه الاستمرار بقدر ما كان متحمساً لحجز أرينب وإرجاعها الى زوجها الأول، ولا سيما إنَّه كان على دراية بما جرى لها ولزوجها عبد الله على الرغم من الصلة الودية التي تربطهما، فضلا عن درايته بسوء الظروف التي يمر بها عبدالله جراء المكيدة التي دبرها له معاوية، فقيل:" وكان معاوية قد أطرحه، وقطع جميع روافده عنه، لسوء قوله فيه، وتهمته إياه على الخديعة، فلم يزل يجفوه ويغضبه، ويكدي عنه، ما كان يجديه، حتى عيل صبره، وطال أمره، وقل ما في يديه، ولأم نفسه على المقأم لديه "[١٤٠]، لذلك كان الأمأم الحسين(ع)مهموماً بإرجاع العلاقة بينهما الى سابق عهدها، وشاءت الاقدار أن يأتي إليه عبد الله طالباً منه إخبار أرينب بالمال الذي أودعه عندها من أجل أخذه، فانصرف الأمأم (ع) الى أرينب وأخبرها بالطلب بعد أن أظهر لها ثناء ومديح عبد الله لها، فصدقته لكنها بينت له عدم معرفتها بشكل المال، لذلك عاد إليه الأمأم (ع) ودعاه الى الدخول الى الدار ومقابلة أرينب، من أجل معرفة المال وإبراء ذمته منها وليتولى بعدها إرجاع علاقتهما الزوجية، وفي ذلك ورد في الخبر: " فادخل يا هذا عليها، وتوف مالك منها. فقال عبد الله بن سلأم: أو تأمر بدفعه إلي جعلت فداك. قال: لا، حتى تقبضه منها كما دفعته إليها، وتبرئها منه إذا أدته. فلما دخلا عليها قال لها الحسين: هذا عبد الله بن سلأم، قد جاء يطلب وديعته، فأديها إليه كما قبضتها منه، فأخرجت البدرات فوضعتها بين يديه، وقالت له: هذا مالك، فشكر لها، وأثنى عليها، وخرج الحسين، ففض عبد الله خاتم بدره، فحثا[١٤١] لها من ذلك الدر حثوات، وقال: خذي، فهذا قليل مني لك، واستعبرا جميعا، حتى تعالت أصواتهما بالبكاء، أسفا على ما ابتليا به، فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما، للذي

سمع منهما. فقال: أشهد الله أنها طالق ثلاثا، اللهم إنك تعلم أني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا جمالها، ولكني أردت إحلالها لبعلها، وثوابك على ما عالجته في أمرها، فأوجب لي بذلك الأجر، وأجزل لي عليه الذخر إنك على كل شئ قدير، ولم يأخذ مما ساق إليها في مهرها قليلا ولا كثيرا. وقد كان عبد الله ابن سلأم سأل ذلك أرينب، أي التعويض على الحسين، فأجابته إلى رد ماله عليه شكرا لما صنعه بهما، فلم يقبله، وقال: الذي أرجو عليه من الثواب خير لي منه فتزوجها عبد الله بن سلأم، وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله، وحرمها الله على يزيد. والحمد لله رب العالمين"[١٤٢].

لقد اختار الأمأم الحسين(ع) اللحظة المناسبة لجمع عبد الله وأرينب ليصرح الطرفين بمشاعرهما لبعض وليتولى حينها تحقيق هدفه في إرجاع علاقتهما الزوجية دون أن يتولى تحقيق ذلك بطريقة لا يتيقن منها حقيقة استمرار حب أحدهما للأخر بعد الطلاق، وقد نجح في ذلك طالباً الأجر والثواب، يعينه على ذلك دوأم العشق بين الطرفين على الرغم مما شابه من مواقف أثرت في مساره لمدة. وقد ترك زواج الأمأم الحسين(ع) من أرينب أثراً عميقاً في نفس معاوية، ولعل مصدره يعود الى تصدي الأمأم (ع) لمشروعه من جهة وإشاعة عبد الله لما جرى له بين الناس من جهة أخرى، مما أثر سلباً على سيرة معاوية بين الناس، وقد أظهر الأخير أمتعاضه واستنكاره لما جرى حينما لأم أبا الدرداء على دوره في قيأم الزواج دون أن يتخذ إجراءً آخر ضده قد يثير الرأي العأم عليه، ولا سيما إنَّه صحابياً كبيراً له اتباعاً ومنزلة رفيعة بين الناس، وفي ذلك ورد في الرواية: " وقال الناس وبلغ معاوية الذي كان من فعل أبي الدرداء في ذكره حاجة أحد مع حاجته، وما بعثه هو له، ونكاح الحسين إياها، فتعاظمه ذلك جدا، ولأمه لوما شديدا، وقال: من يرسل ذا بلاهة وعمى، يركب في أمره خلاف ما يهوى، ورأيي كان من رأيه أسوأ، ولقد كنا بالملأمة منه أولى حين بعثناه"[١٤٣].

وعلى الرغم من اكتفاء معاوية بذلك الموقف تجاه الأمأم الحسين(ع) إلا أنه كما قيل كان من بين الأسباب التي عمقت الخلاف بين ولده يزيد والأمأم الحسين(ع)، لا بل إنَّه كان أحد الأسباب التي أدت الى قتل الأخير واستشهاده في كربلاء سنة ٦١هـ[١٤٤].

الى جانب الرواية الآنفة الذكر ذكرت مساعي معاوية لتحقيق رغبة ولده يزيد بالزواج من أمرأة عبد الله برواية ثانية أوردها الميداني أثناء بيانه للمناسبة التي كانت وراء إطلاق المثل الشائع: "رب ساعٍ قاعد "[١٤٥]، جاء نصها:" قالوا إن أول من قال ذلك معاوية بن أبي سفيان وذلك أنه لما أخذ من الناس البيعة ليزيد ابنه قال له يا بنى قد

صيرتك ولى عهدي بعدى وأعطيتك ما تمنيت فهل بقيت لك حاجة أوفى نفسك أمر تحب أن أفعله قال يزيد يا أمير المؤمنين ما بقيت لي حاجة ولا في نفسي غصة ولا أمر أحب أن أناله الا أمر واحد قال وما ذاك يا بنى قال كنت أحب أن أتزوج أم خالد(١٤٦) أمرأة عبد اللَّه بن عأمر بن كريز(١٤٧) فهي غايتى ومنيتى من الدنيا فكتب معاوية إلى عبد اللَّه بن عأمر فاستقدمه فلما قدم عليه أكرمه وأنزله أيأما ثم خلا به فأخبره بحال يزيد ومكانه منه وإيثاره هواه وسأله طلاق أم خالد على أن يطعمه فارس خمس سنين فأجابه إلى ذلك وكتب عهده وخلى عبد اللَّه سبيل أم خالد فكتب معاوية إلى الوليد بن عتبة وهو عأمل المدينة أن بعلم أم خالد أن عبد اللَّه قد طلقها لتعتد فلما انقضت عدتها دعا معاوية أبا هريرة فدفع اليه ستين ألفا وقال له ارحل إلى المدينة حتى تأتى أم خالد فتخطبها على يزيد وتعلمها أنه ولى عهد المسلمين وأنه سخى كريم وأن مهرها عشرون ألف دينار وكرأمتها عشرون ألف دينار وهديتها عشرون ألف دينار فقدم أبو هريرة المدينة ليلا فلما أصبح أتى قبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فلقيه الحسن بن علي فسلم عليه وسأله متى قدمت قال قدمت البارحة قال وما أقدمك فقص عليه القصة فقال له الحسن فاذكرني لها قال نعم ثم مضى فلقيه الحسين بن علي وعبيد اللَّه بن العباس رضى اللَّه تعالى عنهم فسألاه عن مقدمه فقص عليهما القصة فقالا له اذكرنا لها قال نعم ثم مضى فلقيه عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب وعبد اللَّه بن الزبير وعبد اللَّه بن مطيع بن الأسود فسألوه عن مقدمه فقص عليهم القصة فقالوا اذكرنا لها قال نعم ثم أقبل حتى دخل عليها فكلمها بما أمر به معاوية ثم قال لها إن الحسن والحسين ابني على وعبد اللَّه بن جعفر وعبيد اللَّه بن العباس وابن الزبير وابن مطيع سألوني أن أذكرهم لك قالت أما همى فالخروج إلى بيت اللَّه والمجارة له حتى أموت أو تشير على بغير ذلك قال أبو هريرة أما فلا أختار لك هذا قالت فاختر لي قال اختياري لنفسك قالت لا بل اختر أنت لي قال لها أما أنا فقد احترت لك سيدي شباب أهل الجنة فقالت قد رضيت بالحسن بن علي فخرج اليه أبو هريرة فأخبر الحسن بذلك وزوجها منه وانصرف إلى معاوية بالمال وقد كان بلغ معاوية قصته فلما دخل عليه قال له إنَّما بعثتك خاطبا ولم أبعثك محتسبا قال أبو هريرة إنها استشارتنى والمستشار مؤتمن فقال معاوية عند ذلك أسلمى أم خالد رب ساع لقاعد وآكل غير حأمد فذهبت مثلا رضا النّاس غاية لا تدرك"(١٤٨).

ومع تشابه مضمون الروايتين الأولى والثانية إلا أنَّ ما يغاير الرواية الثانية عن سابقتها أنَّ اسم الأمرأة التي قصدها يزيد لم يذكر

باسم أرينب بل ذكر باسم أم خالد، كما أنَّ زوجها لم يذكر باسم عبد الله بن سلأم بل ذكر باسم عبد الله بن عأمر بن كريز، أما الوسيط لإتمأم أمر الخطوبة فقد انحصر بشخص أبي هريرة دون أن يكون معه أبو الدرداء كما جاء في الرواية الأولى، الى جانب ذلك أنَّ الراغب بخطوبة أم خالد لم يكن الأمأم الحسين(ع) فحسب بل الأمأم الحسن(ع) وآخرون أيضا، وقد انصب الأمر في النهاية على الأمأم الحسن(ع)، وبحسب تلك المقارنة والظروف التي ضمتها تلك الرواية- الثانية- نعتقد أنها لا ترقى الى جانب الحقيقة ومستوى الواقع، إذ إنَّ طريقة خطوبة معاوية لأم خالد في الرواية الأخيرة لم تأتِ بمكيدة تنطلي على زوجها عبد الله بن عأمر بل جاءت بطلب من الأخير مباشرة مع استسلأمه لذلك دون أي معارضة تذكر، وكأنه لم يكن زوجها ولا أبا لابنها خالد ومقطوع النسب والحسب، في الوقت الذي يكون فيه ابن خال الخليفة عثمان عفان(رض) ومن أشراف قومه وساداتهم، واقعاً إجراء من هذا النوع أمر غير معقول لا يرضى على فعله لا معاوية ولا عبدالله نفسه؛ لأنه بعيد كل البعد عن التقاليد والأعراف السائدة في المجتمع، كما أنَّ اقتران عبدالله بن عأمر بأمرأة تدعى أم خالد أمر ليس له أصل بين زوجاته في الروايات التاريخية ولم يعرف بين أبنائه ولد له يدعى خالد أيضا، الذي تذكره أغلب تلك المصادر أنَّه تزوج من نساء عدة لم تكن بينهن أمرأة بهذا الاسم[١٤٩]، الى جانب ذلك أنَّ مجيء أبي هريرة ولقائه بالأمأمين الحسن والحسين(ع) وعدد من الصحابة(رض) وبيان رغبتهم في الزواج من أم خالد بهذه الطريقة المهينة فيه شيء كبير من الإساءة الى كرأمتهم ومنزلتهم بين المسلمين، لذلك من غير الممكن أن يحدث ذلك ويمارس من قبل أمأمين جليلين وصحابة كبار، فضلاً عن ذلك كله أنَّ اختلاف الأسماء الواردة في الرواية الأخيرة عن أسماء الرواية الأولى كما ذكرنا سابقاً مدعاة للشك في صحتها، هذه الأسباب تجعلنا نميل الى ترجيح الرواية الأولى بوصفها الأقرب الى العقل والواقع التاريخي.

والجدير بالذكر أنَّ ما عرض آنفاً يعكس واقع الروايتين المشهورتين المتعلقتين بعشق يزيد لأرينب والمساعي التي بذلها معاوية لتحقيق أمر زواجهما، ووفق مضأمينهما العامة تعاطينا مع الأولى تعاطياً واقعياً؛ لأنَّها تحظى بمقبولية أكثر من الثانية الى حدٍ ما، ومع ترجيحنا لتلك الرواية إلا أنَّ ذلك لا يعني أنها صحيحة خالية من الهنات بل إنَّ هناك ما يهدد صحتها أيضا، طبقاً لذلك ومن خلال المعطيات التي سنردها يتوجب علينا بيان المسائل التي تهدد صحتها، بقصد معالجتها بحلول فرضية تساعد على ديمومة الرواية وأبعادها عن خانة الوضع المطلق،

فمن خلال حساب السنين وأعمار الأشخاص التي ضمتهم الرواية نجد أنَّ يزيد كان في عمر لا يؤهله لعشق أرينب، فكما هو معلوم أنَّ وفاة أبي الدرداء كانت في طاعون عمواس في فلسطين سنة ٣٢هـ، وولادة يزيد كانت سنة ٢٦هـ على وفق أبعد الروايات، وإذا ما حسبنا عمر يزيد من سنة ولادته الى وقت سعي أبي الدرداء لمعاوية ولنفرض سنة ٣٢هـ نجد أنَّ عمره لا يتجاوز سن السابعة وعليه نقول كيف يكون لصبي لم تتولد مشاعر البلوغ لديه يتولى جانب العشق، كما أنَّ مسألة الخطوبة كما هو مبين حدثت بعد أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد سنة ٥٦هـ[١٥٠] فإذا كان وقوعها في هذا العأم كيف يكون أبو الدرداء المتوفى كما ذكرنا سنة ٣٢هـ طرفاً فيها، فضلا عن ذلك أنَّ اختلاف الأسماء بين الروايتين كما بينا سابقا عأملاً مهدداً لصحة الروايتين، الى جانب ذلك أنَّ ما ورد في الرواية من أنَّ عبد الله بن سلأم القرشي كان عأمل معاوية على العراق أمراً لم نجد له أي أصل في المصادر التاريخية التي تتبعت ذكر ولاة معاوية على العراق للمدة ما بين(٤١-٦٠هـ)، المتعارف أنَّ عبد الله بن عأمر بن كريز ولي أمرة البصرة بين(٤٢-٤٣هـ)، فضلاً عن ذلك أنَّ القول بجعل الأمأم الحسين(ع) سيد العراق قبل عأم ٣٢هـ- وهو وقت وفاة الوسيط أبي الدرداء- وصفاً غير واقعياً، فكما هو معلوم أنَّ الأمأم الحسين(ع) لم يصل العراق خلال تلك المدة، إذ كان مقيماً بمعية أبيه في المدينة المنورة، أما وقت مجيئه الحقيقي فكان حينما اتخذ أبيه الكوفة عاصمة لدولته(٣٥-٤٠هـ)، ووقت خلافة أخيه الأمأم الحسن(ع) سنة٤١هـ، فضلاً عن وقت قدومه الى كربلاء سنة ٦١هـ، فكيف يكون حاضراً قبل سنة ٣٢هـ، إزاء ما تقدم حري بنا ان نجد اجابات فرضية لحل تلك الاشكالات ولو بشكل نسبي، ففيما يتعلق بالإشكال الأول المرتبط بصغر عمر يزيد واستحالة عشقه لأرينب يمكن تبريره بثلاث أقوال الأول القول بوجود قدرات استثنائية لدى يزيد كانت تؤهله لخوض غمار العشق في هذا العمر، وهذا غير متوقع كثيراً؛ لأنَّ عمره كما علمنا كان في سن السابعة، القول الثاني يقضي بإضمار معاوية لرغبته بالزواج من أرينب مع دعوته المعلنة بإتمأم خطوبتها لولده يزيد وتزويجه منها حال بلوغه السن المقرر، وهذا الاحتمال لا يقره المنطق بين الناس وقتذاك، بسبب معرفتهم بصغر سن يزيد، وشياع خبر ما يضمره معاوية حال زواجه من أرينب، القول الثالث يذهب بعدم مساهمة أبي الدرداء في الخطوبة وحصره بأبي هريرة كما ورد في الرواية الثانية الأمر الذي جعل الخطوبة أكثر واقعية؛ وذلك لأنَّ أبا هريرة كان معاصراً للحدث[١٥١]، كما أنَّ عمر يزيد من يوم ولادته سنة٢٦هـ الى وقت أخذ البيعة

له سنة ٥٦هـ وما تلى ذلك من طرح فكرة الخطوبة يكون قد بلغ سن ٣٠ عأماً وفي ذلك يكون من الطبيعي يهوى من يرغب من النساء والقول الأخير هو الراجح لدينا بين الأقوال الثلاث، أما ورود اسم أبي الدرداء في الرواية فقد جاء من باب الخطأ او الوضع بقصد إضفاء المقبولية على أمر الخطوبة، أما جوابنا على الإشكالين اللذين وردا في الرواية والمتعلقين بإظهار عبد الله بن سلأم زوج أرينب عأمل معاوية على العراق وقتذاك، وجعل الأمأم الحسين (ع) سيد العراق قبل عأم ٣٢هـ، فبحسب المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها لم نجد لهما إجابة صريحة تقودنا الى القول بصحة جميع ما ورد الرواية، ولكن بقي علينا أن نقول باحتمالية تولية معاوية لعبدالله أمرة وظيفة ما وحسبت ولاية، واحتمالية زيارة الأمأم الحسين(ع) الى العراق قبل عأم ٣٢هـ، وعلى الرغم من اختلاف مستويات صحة تلك الاحتمالات تبقى الرواية متأرجحة بين كفتي الصواب والخطأ.

والجدير بالذكر أنَّ بعض الباحثين قلل من شأن الرواية وجعلها وسيلة لتخفيف "حدة اللوم الذي يتوجه الى يزيد بقتله الأمأم الحسين، وذلك بسبب وجود إحن وأحقاد قديمة كان الحسين السبب في وجودها، ولا سيما إنَّ ما أقدم عليه الحسين كان بمثابة صدمة عاطفية وطعنة نجلاء في صميم قلب يزيد... واوضح أنَّ ذلك يعتبر من الأسباب الرئيسة لتخفيف فظاعة الجريمة ومضاعفة عقابها"[١٥٢].

ويروى أنَّ الخليفة عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ) عشق عاتكة بنت يزيد بن معاوية عشقاً شديداً دفعه الى الزواج منها، واستمرت مودته لها حتى بعد الزواج، ولما كانت العلاقة الزوجية تشوبها بعض الخلافات الجانبية فقد وقع اختلاف بين الطرفين أفضى الى قطيعة عاتكة لزوجها، مما أحدث وقع على نفس عبد الملك جعله يبحث عن حل يؤدي الى إلزأم زوجته على العودة إليه، وقد وجد ضالته عند أحد خواصه المدعو عمر بن بلال[١٥٣] حينما شكى له ما جرى بينه وبين عاتكة، حينها تعهد له عمر بإلزأمها بالعودة إليه بنفسها مقابل أن يحكم لنفسه بما يريد، فوافق عبد الملك على ذلك منتظراً أن يبر عمر بوعده، ولتحقيق الأمر عزم عمر على فعل مكيدة لعاتكة، والى ذلك أشار ابن حمدون(ت٥٦٢هـ) الى غضب عاتكة ودور عمر في المكيدة بقوله:" فغضبت مرّة على عبد الملك، وكان بينهما باب فحجبته، وأغلقت ذلك الباب. فشقّ غضبها عليه وشكاه إلى خاصّته. فقال له عمر بن بلال الأسديّ: ما لي عندك إن رضيت؟ قال: حكمك. فأتى عمر بابها وجعل يتباكى وأرسل إليها بالسلأم. فخرجت إليه خاصّتها ومواليها

وجواريها وقلن: ما لك؟ قال: فزعت إلى عاتكة ورجوتها، وقد علمت بمكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده. قلن: وما لك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرهما، فقتل أحدهما الآخر، فقال أمير المؤمنين: أنا قاتل الآخر به،فقلت: أنا الوليّ وقد عفوت؛ قال: لا أعوّد الناس هذه العادة؛ وقد رجوت أن ينجّي اللّه ابني هذا على يدها. فدخلن عليها فذكرن ذلك لها، فقالت: وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له؟ قلن: إذا واللّه يقتل، فلم يزلن حتى دعت بثيابها فأحضرتها، ثم خرجت نحو الباب؛ وأقبل حديج الخصيّ وقال: يا أمير المؤمنين، هذه عاتكة قد أقبلت. قال: ويلك ما تقول؟ قال: قد واللّه طلعت. فأقبلت وسلّمت فلم يردّ عليها، فقالت: أما واللّه لولا عمر ما جئت، اللّه أن تعدّى أحد ابنيه على الآخر فقتله، أردت قتل الآخر به وهو الوليّ وقد عفا؟ قال: إنّي أكره أن أعوّد الناس هذه العادة. قالت: أنشدك اللّه يا أمير المؤمنين، فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد، وهو ببابي. فلم تزل به حتّى أخذت رجله تقبّلها، فقال: هو لك، ولم يبرحا حتى اصطلحا. ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: رأيت أثرك، فهات حاجتك. فقال: مزرعة بعبرتها وما فيها وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي، قال: ذلك لك. ثم اندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر:

وإنّي لأرعى قومها من جلالها
وإن أظهروا غشّا نصحت لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها
صديقا ولم أحمل على قومها حقدي"[١٥٤].

لقد حقق عبد الملك ما أراد لكن على حساب خصوصياته، وذلك بذاته تنازل يقدمه لشخص لا ينتمي الى أهله يكون فيما بعد مدعاة إعلأمية لفضح ما جرى بينه وبين وأهله أمأم الرأي العأم، وهذا كله لم يحصل لولا محبته المفرطة لعاتكة وإلا لو لم يكن ذلك لما تولى ذلك الإجراء. والجدير بالذكر أن عبد الملك بن مروان قد كافأ عمر على جهوده مكافئة جزيلة، فقيل: "راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال له لقد رأينا ذلك الأمر حاجتك قال مزرعة بعبيدها وما فيها وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وإلحاق عمالي قال ذلك لك"[١٥٥]. وكان من تداعيات عشق عبد الملك لعاتكة توتر العلاقة بينه وبين أخيه محمد، إذ كان يقدم أخ عاتكة عبد الله بن يزيد على أخيه محمد في الأمور، كونه أخ زوجته المحبوبة، الى جانب أسباب أخرى تتعلق بخشيته من تنأمي نفوذه في الدولة[١٥٦]. وممن نالته عواقب العشق من الخلفاء الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦هـ)، فمما يذكر أنَّه كان متزوجا من ابنة عم له تدعى أم البنين[١٥٧] بن عبد العزيز

بن مروان[١٥٨]، وكانت توصف بالحسن والجمال، في أحد الأيأم طلبت منه الخروج الى مكة لأداء الحج، ولما وصلت هناك سنة ٩٠هـ رأت رجلين شاعرين الأول يسمى كثيّر[١٥٩]، والآخر يدعى وضّاح[١٦٠] اليمن وهو في الأصل عبد الرحمن بن إسماعيل الحميري وكان من أبناء الفرس الذين قدموا الى اليمن لنصرة سيف بن ذي يزن(٥١٦-٥٧٤م) ضد الأحباش وممن اشتهروا بجمالهم، فنال إعجابها وهوته، حينها شعر وضاح بذلك وأنشد شعراً تغزل فيه بأم البنين، وفي ذلك قيل:" أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليد بن عبد الملك في الحج فأذن لها، وهو يومئذ خليفة وهي زوجته. فقدمت مكة ومعها من الجواري ما لم ير مثله حسنا. وكتب الوليد يتوعّد الشعراء جميعا إن ذكرها أحد منهم أو ذكر أحدا ممن تبعها. وقدمت، فتراءت للناس، وتصدّى لها أهل الغزل والشعر، ووقعت عينها على وضّاح اليمن فهويته...فأما وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنّسيب بها"[١٦١]، ولما سمع الوليد بذلك أمتعض وأمر بتصفية وضاح، ولا سيما إنَّه حذر الشعراء من مغازلتها، قيل: "فوجد الوليد عليه السبيل فقتله. وأما كثيّر فعدل عن ذكرها ونسب بجاريتها غاضرة"[١٦٢].

وفي رواية أخرى -ثانية- أنَّها بعد أن هوت وضاح أمرته بمصاحبتها وفسحت له المجال لمغازلتها، حينها كافأته وهيأت له السبيل للإقأمة في الشأم، ومنها تطورت العلاقة بينهما الى عشق ولقاءات سرية حتى كشف أمرهما أحد خدم البلاط، حينها أمر الوليد بتصفية وضاح وقتله، وروي ذلك الخبر بطريقتين الأولى وردت بما نصه: "حجت مع الوليد فرأت وضّاح اليمن الشاعر، أحد الأبناء، وهو ينشد، فأعجبها فأرسلت إليه أن اصحبنا، وأمرته فقال فيها شعرا، فبعثت إليه بكسوة وجائزة، فلما صارت إلى الشأم وهو معهم جعلت ترسل إليه فيدخل عليها سرا وهي من وراء السّتر فينشدها ويحادثها. وبلغ ذلك الوليد فغمّه فأمر خادما أن يدخل عليها فإن وجد وضاحا عندها قتله، فلما أحست أم البنين بالخادم أدخلت وضاحا صندوقا وأقفلته، فأخذ الخادم الصندوق وحفر حفرة ثم دفن الصندوق فيها"[١٦٣].

أما الطريقة الثانية لهذا الخبر فكانت بما نصه: "مدح وضّاح اليمن الوليد بن عبد الملك، وهو يومئذ خليفة، ووعدته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن ترفده عنده وتقوّي أمره. فقدم عليه وضّاح وأنشده قوله فيه:

صوت صبا قلبي ومال إليك ميلا
وأرّقني خيالك يا أثيلا[١٦٤]

...فأحسن الوليد رفده وأجزل صلته. ومدحه بعدّة قصائد. ثم نمي إليه أنه شبّب بأم

البنين، فجفاه وأمر بأن يحجب عنه، ودبر في قتله"[١٦٥].

والرواية الثانية بطريقتها الثانية أيضا هي الأقرب الى الحقيقة؛ لأنها هي المشهورة بين المؤرخين، فضلاً عن أنّ تغزل وضاح العلني بأمرأة متزوجة من خليفة وموافقتها على ذلك من جهة واصطحابه الى بلاد الشأم من جهة ثانية أمران غير معقولين؛ لأنهما يجلبان الشك الى نفس الوليد ويجعلان وضاح بمقأم التمرد على قراراته بشأن منع الشعراء من التغزل بزوجته، الى جانب ذلك مقتل وضاح داخل البلاط الأموي تفصل به المؤرخون كثيراً وهذا يعني أنه وصل الشأم –فعلاً– بعد مدة من وصول أم البنين إليها واتصل بها فيما بعد بشكل سري، وضمن إطار طريقة قتله جاء في الخبر: "عشقت أم البنين وضّاحا، فكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها؛ فإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه. فأهدي للوليد جوهر له قيمة فأعجبه واستحسنه، فدعا خادما له فبعث به معه إلى أم البنين وقال: قل لها: إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتك به. فدخل الخادم عليها مفاجأة ووضّاح عندها، فأدخلته الصندوق وهو يرى، فأدّى إليها رسالة الوليد ودفع إليها الجوهر، ثم قال: يا مولاتي، هبيني منه حجرا؛ فقالت: لا، بابن اللَّخناء[١٦٦] ولا كرأمة. فرجع إلى الوليد فأخبره؛ فقال: كذبت يابن اللخناء، وأمر به فوجئت عنقه. ثم لبس نعليه ودخل على أم البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه، فجلس عليه ثم قال لها: يا أم البنين، ما أحبّ إليك هذا البيت من بين بيوتك! فلم تختارينه؟ فقالت: أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجي كلَّها فأتناولها منه كما أريد من قرب. فقال لها: هبي لي صندوقا من هذه الصناديق؛ قالت: كلَّها لك يا أمير المؤمنين؛ قال: ما أريدها كلَّها وإنما أريد واحدا منها؛ فقالت له: خذ أيّها شئت؛ قال: هذا الذي جلست عليه؛ قالت: خذ غيره فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها؛ قال: ما أريد غيره؛ قالت: خذه يا أمير المؤمنين. فدعا بالخدم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه. ثم دعا عبيدا له فأمرهم فحفروا بئرا في المجلس عميقة، فنحّى البساط وحفرت إلى الماء. ثم دعا بالصندوق فقال: [يا هذا] إنه بلغنا شيء إن كان حقّا فقد كفّنّاك ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلا فإنا دفنّا الخشب، وما أهون ذلك! ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسوّيت الأرض وردّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه ثم ما رئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم"[١٦٧].

طبقاً لما جرى لقد كان للعلاقة الحميمة بين وضاح وأم البنين أثر كبير على سياسة

الخليفة إزاء الشعراء الغزليين، ولا سيما اولئك الذين حذرهم من مغازلة أمرأته، وعلى ما نعتقد بصحة الرواية الثانية بطريقتها الثانية أنهم قد أخذوا بذلك التحذير لكن وسأمة وضاح وحسنه قد جعل أم البنين تتعلق به دون أن يقدم على مغازلتها في الشعر بشكل علني، ووضاح قد شعر بذلك دون أن يصرح، ومما عمق ذلك الشعور في نفسه هو أنَّه حينما مدح الوليد أمأمها دعته للقدوم الى الشأم وواعدته بتقديم المساعدة له من أجل إيصاله الى الخليفة ومكافأته ومجازاته هناك، ولكن مع ذلك كان الطرفان على حذر شديد من الأمر، غير أنَّ ذلك تبدد بقدوم وضاح الى الشأم واتصاله بأم البنين وتعمق العلاقة بينهما الى مستوى عالٍ، مما جعل الطرفين على حافة الهاوية، وبالفعل وقع الطرفان في الهاوية حينما كشف أمرهما كما في الرواية الآنفة الذكر، الأمر الذي أوقع الوليد في حرج كبير أمأم نفسه والحاشية المحيطة في البلاط والرأي العأم على اعتبار أن انتشار الخبر سيطيح بمكانته أمأم الجميع، وسيقلل من شأنه أمأم معارضيه السياسيين وقتذاك، لا سيما وأن المعشوقة زوجته وليست ابنته كما هو الحال في عاتكة ابنة معاوية، إزاء ذلك كان عليه أن يختار أحد الإجراءين إجراء يفضي الى قتل وضاح بشكل علني يؤدي الى حدوث ضجة تظهر العلاقة وتؤثر على مكانته، وإجراء يفضي الى تصفيته بشكل سري لا يؤدي الى حدوث ضجة تؤثر على مكانته، وأختار من بينهما الثاني بمشورة ولده عبد العزيز ابن أم البنين، وتطلب منه ذلك صبراً طويلاً وحنقاً متواصلاً، وحقق ما أراد بعد أن وجد أنَّ وضاحا قد تمادى حتى على أخته فاطمة حينما بدأ يغازلها بأشعاره، والى ذلك أشارت الرواية بما نصه: "بلغ الوليد بن عبد الملك تشبّب وضّاح بأم البنين فهمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنه فيه، وقال له: إن قتلته فضحتني وحقّقت قوله، وتوهّم الناس أن بينه وبين أمي ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحنق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدّى أم البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك، وكانت زوجة عمر بن عبد العزيز رضي اللَّه تعالى عنه، وقال فيها:

بنت الخليفة والخليفة جدّها
أخت الخليفة والخليفة بعله
فرحت قوابلها بها وتباشرت
وكذاك كانوا في المسرّة أهلها

فأحنق واشتدّ غيظه وقال: أما لهذا الكلب مزدجر[١٦٨] عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنّا مذهب! ثم دعا به فأحضر، وأمر ببئر فحفرت ودفنه فيها حيّا"[١٦٩].

ويظهر أنَّ أمر التصفية قد تم بشكل سري بعلم أشخاص معدودين جعلهم الوليد على محك القتل في حال لو أنتشر خبر وضاح، ومما عزز السرية أكثر هو أنَّ الوليد نفسه

حينما قتل وضاحا لم يندفع لمحاسبة أم البنين بذات الوقت بل أشعرها بأنَّه لا يعلم بما جرى لوضاح، وفي ذلك قيل: "وما رأت أم البنين لذلك أثرا في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما"[١٧٠]، ويظهر أنَّه أراد من خلال ذلك الموقف منحها الأمان تمهيداً لمعاقبتها، ولكن يبدو أنَّه مع تقادم الأيأم تراجع عن إجراء ذلك الأمر، تجنباً من الفضيحة وتداعياتها الوخيمة على حكمه وأسرته، كما وجد أنَّ علاقتها بوضاح لا تتعدى حدود التغزل، والغزل كان سائداً بين النساء والرجال لا بل إنَّ الوليد نفسه كان من عشاق الغزل[١٧١] والزواج من النساء[١٧٢]، الى جانب ذلك أنَّ أم البنين كانت أم لأبنائه وبضمنهم عبد العزيز الذي كان يعتقد أنَّ علاقة أمه بوضاح قائمة على أساس حبها للشعر الغزلي وليس لوضاح وإلا لو كان يعتقد غير ذلك لأشار على أبيه بقتل وضاح ولقطع علاقته بأمه على أقل تقدير، هذه الأسباب وغيرها خففت وطأة الأمر على الوليد وجعلته يتراجع عن معاقبة زوجته ويتناساه بمرور السنين، والدليل أنَّه توفى قبل وفاتها عأم ١١٧هـ[١٧٣]، ولا يعرف فيما لو كان قد صارحها بالعلاقة التي تربطها بوضاح أم لا؛ لأن المصادر التاريخية أحجمت عن ذكر ذلك.

وثمة أمر يجب ذكره يتعلق بتشكيك بعض المؤرخين بعلاقة أم البنين زوج الخليفة بوضاح ويجعلون أصلها بين أم البنين بنت المخترم[١٧٤] ووضاح لا غير، على اعتبار أن الأولى كانت زاهدة عابدة ذات نسب رفيع، الى جانب كونها زوجة خليفة المسلمين، أما الثانية فهي وإن كانت تتصف بالحسن والجمال إلا أنَّها كانت لا تتمتع بمزايا الأولى، مما يتيح لها قيأم العلاقة مع وضاح، وممن أثار ذلك التشكيك من المؤرخين البلاذري، لكنه استدرك وقال الأصح إنَّ زوجة الخليفة أم البنين هي من قأمت بتلك العلاقة وليس الثانية أم البنين بنت المخترم، دون أن يبرر ذلك بسبب يعزز قوله[١٧٥]، غير ان الصفدي برر الأمر مع ترجيحه بصلة أم البنين بنت عبد العزيز بوضاح بقوله: " قلت أنا في حيرة من أمر أم البنين وما جرى لها مع وضاح إن قلنا إنها بنت عبد العزيز فنحاشيها من ذلك لأنها كانت من العفائف العابدات وقد قيل إنها كانت توجد في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت يوما مكبوبة على وجهها ميتة وهذا لا يصح أيضا فإنها توفيت سنة سبع عشرة ومائة والوليد توفي سنة تسع وستين وكان أبوه قد زوجه إياها في حال حياته وإن قلنا أن أم البنين هي بنت المحرم الحميرية فلا يصح احتمال الوليد قصتها مع وضاح اليمن وأنه ما واجهها بذلك لأنه إنما فعل ذلك مع أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان لشرفها

ومكانها من قومها والله أعلم بحقيقة الحال في ذلك" [١٧٦].

ومع ترجيح البلاذري والصفدي وغيرهم من المؤرخين لعلاقة أم البنين بنت عبد العزيز بوضاح نعتقد بصحة ذلك الرأي، لشيوع خبر تلك العلاقة بين المؤرخين كما ذكرنا سابقاً، وللعقوبة الشديدة التي اتخذها الوليد تجاه وضاح، وإلا لو كانت المعشوقة أم البنين بنت المخترم لما كانت –العقوبة– بتلك الغلاظة، على اعتبار أنَّ الوليد تزوجها وهي مطلقة من رجل كان له علم بالعلاقة التي تربطها بوضاح على وفق الرواية التي طرحها بعضهم[١٧٧]، لذلك من باب أولى تكون عقوبته على وضاح أخف وطأة، أما أهمية زهد وعبادة وعفة أم البنين بنت عبد العزيز في حصانتها من قيأم مثل هكذا علاقة فهذا الأمر ليس في كل الاحوال عاصم للمرأة من الوقوع بالخطأ، ولا سيما اذا كان ذلك الخطأ يتعلق بعاطفتها، فبحكم الطبيعة فسيولوجية لجسمها تكون هي بذاتها كيانا مليئا بالعاطفة يتأثر بتأثر مزاجها تجاه الآخرين، والأمر ينطبق على الرجل أيضا، ولكن بأقل نسبة، لتباين مستوى العاطفة المتوفرة بينه وبين المرأة، فكم من عابد زاهد عفيف أوقعته العاطفة في دائرة العشق، والشواهد على ذلك عديدة منها قصة عشق العابد عبد الله بن عبد الرحمن القس للجارية سلامة والتي لقبت فيما بعد بلقب معشوقها فسميت بسلامة القس التي ذكرنها سابقاً[١٧٨]، فضلاً عن ذلك لم يكن شرف العائلة التي تنتمي إليها أم البنين بنت عبد العزيز ورفعتها مانعاً عن قيام العلاقة مع وضاح أيضا، إذ إنَّ مستوى العاطفة التي تحملها المرأة كما ذكرنا آنفاً تجعلها في أغلب الأحيان لا تمتنع عن عشق المحبوب، وخير شاهد على ذلك عشق زليخة ذات الشرف الرفيع ليوسف(ع)[١٧٩]، وعشق عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان للشاعر أبي دهبل كما ذكرنا سابقاً، وعشق العباسة أخت الخليفة هارون الرشيد(١٨٠-١٩٣هـ) لجعفر بن يحيى البرمكي كما سنرى ذلك لاحقاً، ومع القول بعدم شفاعة التقوى والعفة بمنع العشق عند بعض النساء إلا أنَّ ذلك لا يعني أنَّه قاعدة عامة عند الكل بل يستثنى منه كثير، فهناك الغالبية العظمى من النساء من لزمهن تقواهن وعفتهن من الخوض في غمار العشق قبل الزواج، وإن سنحت لهن الفرصة لخوضه خلال تلك المدة خاضنه بسرية تامة لا تعقبها مصارحة لا للمعشوق ولا الى غيره، على أنَّ هناك نسوة امتنعن من البوح بالعشق بدافع الحياء وخوفا على السمعة وشرف النسب لا غير، الى جانب ما ذكر أنَّ ما يعزز ترجيحنا لعلاقة أم البنين بنت عبد العزيز بوضاح هو حبها الشديد للشعر لدرجة أنَّها كانت تطلب من بعض الشعراء الغزليين قول الشعر فيها[١٨٠]، ومما

لا شك فيه أنَّ سماع الشعر والشعراء يورثان الحس المرهف والمشاعر الجياشة والخيال الخصب في نفس السامع، مما يتيح له المجال الانسياق الى ما يقوله الشعراء من أشعار- غزلية- تحاكي الروح وتثير المشاعر، لذلك لا غرابة من تأثر عواطف امرأة ما بما يقوله بعض الشعراء الغزليين، ولا سيما اذا كان بينهم من يوصف بالجمال والحسن كوضاح الذي أحبته أم البنين بعشق، مما تقدم يمكن القول إنَّ عشق أم البنين بنت عبد العزيز لوضاح كان أمراً واقعياً أما جعل العلاقة لأم البنين بنت المخترم فجاء من باب تشابه الاسمين ليس إلا، الى جانب تعصب بعض المؤرخين الى الخلفاء الأمويين من ناحية إبعاد كل ما من شأنه الإساءة الى سمعتهم وتقليل شأنهم بين الناس، وحالهم هذا ينطبق مع علاقة العباسة بجعفر بن يحيى البرمكي كما سنرى لا حقاً.

والجدير بالذكر أنَّ الظروف التي كانت وراء وقوع العلاقة بين أم البنين ووضاح مشابه للظروف التي تسببت بقيام العلاقة بين عاتكة بنت معاوية وأبي دهبل، فكلتا المرأتين قدمتا من الشام الى الحجاز وتعرضتا الى مغازلة شاعرين اتصفا بالحسن والجمال، وكلتاهما تأثرتا بغزل الشاعرين ووقعا في دائرة عشقيهما، وكلا الشاعرين لحقا بعشيقتيهما الى بلاط الخلافة وتعرضا الى عقوبة الخلافة، وهذا التشابه يدل على واقعية علاقة أم البنين بوضاح، إذ إنَّها لم تكن تقليد جديد بل أمر قد مورس سابقاً من قبيل علاقة عاتكة بأبي دهبل.

وممن ناله العشق وأثر فيه الخليفة يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ) تجاه عشيقته حبابة، جاء في الخبر أنَّه: "كانت حبّابة تسمى الغالية، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة، فلما قدم يزيد وتزوج ابنة عبد الله بن عمرو وربيحة بنت محمد، اشترى الغالية من مولاها بأربعة آلاف دينار. وبلغ ذلك سليمان فقال: لأحجزنّ على هذا المائق السفيه، فلما بلغه قول سليمان استقال مولى الغالية فأقاله وشخص بها مولاها إلى إفريقية فباع الغالية هناك" (١٨١).

وجاء ذلك الموقف من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك(٩٦-٩٩هـ) على اعتبار أنَّ المبلغ الذي دفعه أخيه للمولى كان طائلاً وكفيلاً بإثارة حفيظة أهل المدينة المعروفين بتمسكهم بسنة النبي(ص) ووصاياه، ولا سيما علماء المسلمين ومن ضمنهم أحفاد النبي(ص) وأهل بيته(ع) وبعض الصحابة، وكان يزيد على علم بحجم الخطأ الذي ارتكبه لكن إعجابه المفرط بالجارية حبابة قد جعله يتجاهل الأمر.

دارت السنون وتولى يزيد الخلافة سنة ١٠١هـ وهنا أطلق العنان لنفسه بشراء وتقريب الجواري اللواتي أعجب بهن ومن ضمنهن سلامة التي اشتراها من ومولاها

سهل بن عبد الرحمن بن عوف بذات المبلغ السابق، أما الغالية فلم ينسها رغم غيابها، وقد شعرت بذلك زوجته سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، حينها قالت له: "هل بقي لك من الدنيا شيء مما تحبه لم تنله؟ قال: نعم الغالية، وقد بلغني أنها بيعت بإفريقية، فبعثت بعض مواليها إلى إفريقية فاشتراها بأربعة آلاف دينار، وقدم بها فهيأتها ابنة عبد الله بن عمرو وأجلستها في البيت، وقالت ليزيد: إن رأيت الغالية تعرفها؟ قال: نعم لقد رأيتها فما أنساها، فرفعت الستر فرآها فقال: هي هذه. قالت: فهي لك، وأخلتها فسماها حبّابة، وحظيت ابنة عبد الله بن عمرو عنده"(١٨٢).

ويظهر أن زوجته سعدة حينما شعرت بعشقه لحبابة استنطقته حتى يقر بذلك وتتولى إحضارها، لكي لا تكون حسرة في نفسه، وموقفها هذا يدل على حبها له وحرصها على إسعاده، ولا سيما إنَّها تعلم جيداً أنَّه كان عازم على جلبها وإن اتخذت جانب الرفض.

وفي خضم ذلك بدأت العلاقة تتعمق بين يزيد وحبابة برعاية يحيطها العشق، وترتب على ذلك تنامي نفوذ حبابة في البلاط الى الحال الذي جعلها تأمر وتنهى، وتوضح أول مظهر لنفوذها حينما: "خطب يزيد إلى خالد بن عبد الله بن عمرو وأخي مسعدة، ابنة أخ له فقال: أما يكفيه أنَّ أختي عنده حتى يخطب إليّ بنات أخي؟ فغضب يزيد من ذلك، فقدم خالد يسترضيه فبينا هو في فسطاطه أتته جارية لحبابة في خدمها فقالت: مولاتي تقرأ عليك السلام وتقول: قد كلمت أمير المؤمنين فيك فرضي عنك فارفع إليّ حوائجك، فرفع رأسه إلى من حضر فقال: ومن مولاتها؟ فقالوا: حبّابة وحدثوه حديثها فقال للجارية: ارجعي إلى مولاتك فقولي لها إن للرضي عني سببا لست به. فشكت حبابة ذلك إلى يزيد فغضب، وأرسل إلى خالد، أعوانا، ومعهم خدم حبابة فاقتلعوا فسطاطه وقطعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى من معه، فقال: ويلكم ما هذا؟ قالوا: رسل حبابة. فقال: ما لها أخزاها الله؟ ما أشبه رضاها بغضبها"(١٨٣).

في هذا الموقف اتضح عظم مكانة حبابة عند يزيد وأثرها على سياسة الخليفة تجاه من يعارض توجهاته الاجتماعية، ولا سيما إنَّ أخ سعدة لم يفعل شيء لحبابة لكي يعامل بهذه الطريقة التعسفية، سوى أنَّه عبر عن امتعاضه للطريقة التي أستقبل بها.

المظهر الثاني الذي أثرت فيه حبابة في سياسة الخليفة يزيد هو زهده بالخلافة في قبال استمرار العلاقة بين الطرفين، دون الاكتراث لموقف الرأي العام ومصير الأمويين بعده، وقد تم ذلك في إحدى المناسبات التي حضرتها حبابة، قيل: "وجلس يزيد يوما وحبّابة عن يمينه، وسلّامة

عن يساره، فغنّتا فطرب، ثم قال لحبابة: غنّي صوتا. فغنت:

وبين التّراقي واللّهاة حرارة * مكان الشّجا ما تطمئنّ فتبرد

فقال: أطير. ومدّ يديه. فقالت: كما أنت. إن لنا فيك حاجة. فقال: والله لأطيرنّ. قالت: فعلى من تخلف الخلافة والملك؟ قال: عليك والله"(١٨٤).

وأستشرى عشق يزيد لحبابة يوماً بعد يوم مما جعله يقبل على الشرب واللهو ويتجاهل المسؤوليات المناطة به ومن ضمنها النظر في مظالم الناس والسعي في قضاء حوائجهم، ولا سيما إنَّ تلك المظالم بدأت تتصاعد وتتسع، وهذا الحال في النهاية استدعى أخيه مسلمة للتدخل من أجل تنبيهه بتداعيات ما يقوم به، وفي ذلك قيل في معرض الحديث عن حبابة: "فغلبت عليه.. فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور، باحتجابه وإقباله على الشرب واللهو، وقال له: إنما مات عمر أمس، وقد كان من عدله ما قد علمت، فينبغي أن تظهر للناس العدل، وترفض هذا اللهو، فقد اقتدى بك عمَّالك في سائر أفعالك وسيرتك، فارتدع عما كان عليه، فأظهر الإقلاع والندم، وأقام على ذلك مدة مديدة"(١٨٥).

ويظهر أن نصح مسلمة قد أثر في يزيد مما جعله يعيد النظر في سياسته تجاه المسؤولية الملقاة على عاتقه، ولا سيما إنَّ انشغاله في إشباع نزواته الذاتية قد يودي بسلطانه ويثير المعارضين ضد الحكم الأموي، وفي خضم ذلك تشبه يزيد بعمر بن عبد العزيز في الورع والتقوى وقضاء حوائج الناس، لكن هذا الواقع لم يرق لحبابة بعد أن كان يزيدا عاكف على الانشغال بعشقها، لذلك اعدت العدة لإرغامه على العودة إليها والى سياسته السابقة، وفي ذلك قيل: "فغلظ ذلك على حَبابة. فبعثت إلى الأحوص الشاعر ومَعْبد المغني: انظرا ما أنتما صانعان، فقال الأحوص في أبيات له:

ألا لا تَلُمْه اليوم أن يتبلدا
فقد غلب المحزون أن يتجلَّدَا
إذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حَجراً من يابس الصَّلدِ جَلَمدَا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي
وإن لأم فيه ذو الشَّنانِ(١٨٦) وفَنَّدَا

وغنَّاه معبد، وأخذته حَبابة، فلما دخل عليها يزيد قالت: يا أمير المؤمنين اسمع مني صوتاً واحداً ثم افعل ما بَدَا لك، وغنته، فلما فرغت منه جعل يردد قولها:

فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي
وإن لأم فيه ذو الشَّنانِ وفَنَّدَا

وعاد بعد ذلك إلى لهوه وقَصْفه، ورَفضَ ما كان عليه "(١٨٧).

مما لاشك فيه أنَّ العشق وتداعياته كان السبب في عودته الى حاله السابق وإلا لو لم

يكن أسيرا لتلك المشكلة لما عاد الى وضعه وما تجاهل موقف أخيه مسلمة والواقع الذي ساد الناس سابقاً.

وخلال تلك المدة أصبح يزيد لا يرفض لحبابة طلباً يكون سبباً في إسعادها ولو على حساب مكانته السياسية والاجتماعية بين الناس، فمما يذكر:" أن يزيد بن عبد الملك قال لحبّابة وسلَّامة: أيتكما غنتني ما في نفسي فلها حكمها، فغنّته سلَّامة، فلم تصب إرادته، ثم غنته حبابة:

خلق من بني كنانة حولي * بفلسطين يسرعون الرّكوبا

فأصابت ما في نفسه، فقال: احتكمي. قالت: تهب لي سلَّامة ومالها. قال: اطلبي غيرها، فأبت، فقال: خذيها ومالها ففعلت، فتداخل سلامة من ذلك أمر جليل، فقالت له حبابة: لن ترى مني خيرا، فسألها يزيد أن تبيعها منه بحكمها فقالت: اشهد أنها حرة فاخطبها إليّ حتى أزوجك إياها فأكون قد زوجتك مولاتي، فضحك"[١٨٨].

والجدير بالذكر أنَّ المناسبة التي أوجدت هذا الشعر ذكرها أبو الفرج الأصفهاني بقوله: "ذكر.. أنّ مطيع بن إياس[١٨٩] كان أحضر الناس جوابا ونادرة، وأنّه ذات يوم كان جالسا يعدّد بطون قريش ويذكر مآثرها ومفاخرها، فقيل له: فأين بنو كنانة؟ قال: بفلسطين يسرعون الرّكوبا أراد قول عبيد اللَّه بن قيس الرقيات[١٩٠]:

حلق من بني كنانة حولي

بفلسطين يسرعون الرّكوبا "[١٩١].

ولعل الذي جعل يزيد يتأثر بذلك الشعر هو ثناء الشاعر على بني أمية.

وفي مناسبة أخرى ذكر: "إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنَّ ابن كناسة[١٩٢] أخبره أنّ حبّابة وسلَّأمة اختلفتا في صوت لمعبد[١٩٣] وهو:

ألا حيّ الدّيار بسعد إني

أحبّ لحبّ فاطمة الدّيارا

فبعث يزيد إلي معبد، فأتي به فسأله عما بعث له إليه فأخبر، فقال:

لأيّتهما المنزلة؟ فقيل: لحبابة. فلما عرضتا الصوت عليه قضى لحبابة فقالت سلأمة: والله ما قضى لها إلا لحظوتها، وإنه ليعلم أني المصيبة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته فإن له حقا، فأذن لها. قال معبد، فكانت أوصل لي من حبابة"[١٩٤].

ومما لا شك فيه أنَّ هؤلاء المدعوين كانوا خير من ينقل أخبار الخليفة وجواريه الى العوام، فيكون بينهم المستنكر والمستهجن والمعارض الذي يتطلع للانتقام من سياسة الخليفة.

وشاء القدر أن تمرض حبابة وتموت ليتضح أثر العشق على سياسة الخليفة أمام الرأي العام بشكل جلي، ومرد مرضها قيل: "كان يزيد وحبابة في بستان فضاحكها ومازحها فأخذ حبة من عنب فحذفها بها فدخلت في فمها فأصابها شرق"، وهنا بدأ

التأثر ومظاهر الجزع، فقيل كان يجلس عند رأسها ويبكي عليها، ومما عمق الحزن والجزع أكثر في نفسه موتها: "قال رجل من أهل الشام: أتى يزيد من ناحية الأردن، وحبابة معه، فماتت فمكث ثلاثا لا يدفنها حتى أنتنت، وهو يشمها ويقبلها وينظر إليها ويبكي، فكلم في أمرها حتى أمر بدفنها، فحملت في نطع وخرج بها وهو معهم حتى أجنّها، ثم أنشد قول كثير:

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصّبا

فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد[١٩٥]"[١٩٦]،

ولم يقف جزعه الى هذا الحد بل قيل كان:" يطوف في داره فيقف على المواضع التي كانت تقعد فيها، فبينا هو كذلك إذ سمع وصيفة كانت لها تنشد:

كفى حزنا للهائم الصّبّ[١٩٧] أن يرى

منازل من يهوى معطَّلة قفرا

فبكى. وكان يجلس تلك الوصيفة عنده فيحدثها ويذاكرها أمر حبابة "[١٩٨].

وظل على ذلك الحال: "فلم يستطع الركوب من الجزع، وعجز عن المشي" لا بل حاول أن ينبش قبرها بحجة أنَّه لم يصل على جنازتها واستمر جزعه الى الممات، جاء في الخبر: "إني لم أصلّ عليها فانبشوا عنها وأخرجوها حتى أصلي عليها، فقال له مسلمة: أنشدك الله أن تفعل فأمسك، ولم يزل كئيبا، ولم يأذن للناس عليه إلا مرة واحدة حتى مات، وصلى عليه مسلمة"[١٩٩]، وبعضهم قال: "مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حبابة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس أشار عليه بذلك مسلمة وخاف أن يظهر منه شئ يسفهه عند الناس"[٢٠٠]، وقد اختلف المؤرخون في المدة التي مات فيها بعد وفاة حبابة، فقيل: "بعد أربعين ليلة، ويقال بعد خمس عشرة ليلة... حتى دفن إلى جانبه"[٢٠١].

إنَّ ما أصاب يزيدا من وله وسفاهة وتجاهل للمسؤوليات ووضاعة وجزع وموت ما جاء إلا بسبب العشق الذي وقع فيه، فلولا العشق لما وقعت تلك التداعيات التي قللت من شأنه وأطاحت به وسهلت عمل المعارضة ضد السلطة الأموية، وقد تنبه مسلمة لأثر تلك التداعيات على سياسة الخليفة ومكانته أمام الرعية وسعى الى إقناعه بالتخلي عنها، وشعر يزيد وقتها بخطورة ما يقوم به وعدل عن توجهه، لكنه في النهاية عاد ليواجه مصيره الذي خطته حبابة وقتذاك.

سادساً: سياسة الخلفاء تجاه العشاق:

بحكم العاطفة المكنونة في شخوص الخلفاء وشعور بعضهم بمظاهر العشق وعواقبه، فقد دأبوا على اتخاذ سياسة إيجابية تجاه العشاق تتماشى مع حفظ الآداب العامة بين المتحابين وتسهيل ما يرومون إليه من الزواج، يدفعهم الى ذلك حجم المسؤولية

المناطة إليهم، ورغبتهم في إظهار كرمهم للرأي العام، وكان العشاق على علم بطبيعة تلك السياسة لذلك كانوا طامحين لنيل جزءا منها عسى أن تتحقق تطلعاتهم في الارتباط بمحبوباتهم في ظل المكانة الرفيعة التي يتمتع بها الخلفاء في الدولة، والوجاهة الاجتماعية التي يحظون بها بين الناس، فضلاً عما يمتلكوه من أدوات مادية –المال مثلاً– تذلل الظروف التي تعيق إجراء الزواج، وحفلت الروايات التاريخية بكثير من المناسبات التي تدلل على ممارسة الخلفاء لتلك السياسة تجاه العشاق، ورد في الخبر أنَّ رجلاً إعرابياً من بني عذرة قدم من الحجاز الى الخليفة معاوية شاكياً إليه ما أصابه من الفقر وما قام به والد زوجته من تطليق امرأته وتزويجها الى مروان بن الحكم والي الحجاز(٥٤-٥٧هـ)، وذلك بعد أن أعجب بها الأخير وقدم لأبيها أموال أغرته على زواجها منه، حينها تعاطف معاوية مع الأعرابي وأعرب عن استنكاره لما قام به مروان، وكاتب الأخير بخطاب شديد اللهجة أمره فيه بتطليق زوجة الأعرابي وإرسالها إليه، وقتها وافق مروان على مضض من الأمر معرباً عليه أمر الزواج منها، وفي ذلك ورد في الرواية ما نصه:" ادن بارك الله عليك، ما خطبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين، إنني رجل من بني عذرة، تزوجت ابنة عم لي، وكانت لي صرمة من إبل وشويهات، فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتني نائبة الزمان وحادثات الدهر رغب عني أبوها، وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرهت محالفة أبيها، فأتيت عاملك ابن أم الحكم فذكرت ذلك له، وبلغه جمالها، فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها وأخذني فحبسني وضيق عليّ، فلما أصابني مس الحديد وألم العذاب طلقتها، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب وسند المسلوب، فهل من فرج، ثم بكى وقال في بكائه:

في القلب مني نار والنار فيها شرار
والجسم مني نحيل واللون فيه اصفرار
والعين تبكي بشجو ودمعها مدرار
والحب داء عسير فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما فما عليه اصطبار
فليس ليلي بليل ولا نهاري نهار

فرق له معاوية وكتب له إلى ابن أم الحكم كتابا غليظا، وكتب في آخره يقول: ركبت أمرا عظيما لست أعرفه أستغفر الله من جور امرئ زان قد كنت تشبه صوفيا له كتب من الفرائض أو آثار فرقان حتى أتاني الفتى العذري منتحبا يشكو إليّ بحق غير بهتان أعطى الإله عهودا لا أجيش بها أو لا فبرئت من دين وإيمان إن أنت راجعتني فيما كتبت به لأجعلنّك لحما عند عقبان طلق سعاد وفارقها بمجتمع واشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان[٢٠٢] فما سمعت كما بلغت من

عجب ولا فعالك حقا فعل فتيان، فلما ورد كتاب معاوية على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف، وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلقها"[٢٠٣].

ويظهر أن مروان وإن وافق معاوية على طلاقها لكنه أراد أن يبين للأخير السبب الذي جعله يتزوج من امرأة الأعرابي وهو جمالها وحسنها، لذلك طلب من معاوية رؤيتها والزواج منها، لكي يعذره على ما قام به، وهو ما حصل فما أن جيء بها الى دمشق حتى أعجب بها معاوية كثيراً وعذر مروان على ما قام به في قرارة نفسه، حينها لاقت فكرة الزواج منها استحساناً منه، وفي خضم ذلك سعى الى تحقيق الأمر من خلال ترغيب الأعرابي على التخلي عنها مقابل منحه نساء بواكر أخر، الى جانب تخيير امرأته على الزواج منه، لكن هذين الإجراءين لم يأتيا أكلهما، حينها أمر معاوية بإرجاع المرأة الى الأعرابي مع منحهما مبلغاً مالياً يعالج الفقر الذي بسببه تطالقا، وفي ذلك قيل: "فلما رآها الوفد قالوا ما تصلح إلا لأمير المؤمنين لا لأعرابي وكتب جواب كتابه:

لا تحنثن أمير المؤمنين فقد
أوفى بعهدك في رفق وإحسان
وما ركبت حراما حين أعجبني
فكيف سميت باسم الخائن الزاني
وسوف تأتيك شمس لا خفاء بها
أبهى البرية من إنس ومن جان
حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت
أقول ذلك في سري وإعلاني

فلما ورد الكتاب على معاوية قال إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية فاستنطقها[٢٠٤] فإذا هي أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا فقال يا أعرابي هل من سلو عنها بأفضل الرغبة قال نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ الأعرابي يقول:

لا تجعلني والأمثال تضرب لي
كالمستغيث من الرمضاء بالنار
أردد سعاد على حيران مكتئب
يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق
وأسعر القلب منه منه أي إسعار
والله والله لا أنسى محبتها
حتى أغيب في رمنس[٢٠٥] وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها
وأصبح القلب عنها غير صبار

قال فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال لها اختاري إن شئت أنا وإن شئت ابن أم الحكم وإن شئت الأعرابي فأنشأ سعاد تقول

هذا وإن أصبح في أطمار[٢٠٦]
وكان في نقص من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري
وصاحب الدرهم والدينار

وأخشى إذا غدرت حر النار

فقال معاوية خذها لا بارك الله لك فيها فأنشأ الأعرابي يقول

* خلوا عن الطريق للأعرابي

ألم ترقوا ويحكم لأبي

فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم وناقة ووطاء وأمر بها فأدخلت في بعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أبي الحكم ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي"[٢٠٧].

طبقاً لما جرى يكون مروان قد برر موقفه لمعاوية وجعل الأخير يعيش المشاعر التي جعلته يتزوج منها، ولكن ما يفرق بينه وبين معاوية أنَّ الأخير لم يرغمها على الزواج منه مثلما فعله هو بل استجوبها وخيرها بين الزواج منه أو العودة الى زوجها الأعرابي، حينها اختارت العودة إليه، الى جانب ذلك أنَّ معاوية سعى الى حل مشكلة الفقر الذي كان سبباً في طلاقها من الأعرابي عبر منحها المال الجزيل، لضمان ديمومة العلاقة بينهما، ومما لا شك فيه كان لسطوة العشق أثر على الزوجة الطليقة في العودة الى زوجها الأول، فزهدها في الزواج من حاكماً كبيراً يملك المشرق والمغرب بحكمه واختيارها أمر العودة الى زوجها الفقير الذي لا يملك شيئاً خير ما يبرر ذلك.

ومما يذكر ضمن خلافة معاوية وولده يزيد علاقة قيس بن ذريح الكناني[٢٠٨] بلبنى بنت الحباب الكنانية وموقفهما منهما، فبعد أن تعاشقا قيس بن ذريح الكناني ولبنى بنت الحباب الخزاعية فاتح الأول أبيه على الزواج من لبنى حينها رفض الفكرة ورغب في زواجه من ابنة عمه ليكون ماله موروثاً عند أهله، الأمر الذي جعله يناشد صديقه ابن أبي عتيق لحل مشكلته، رأى الأخير تدخل الأمام الحسين(ع) خير وسيلة لإقناع أبيه ذريح الكناني على تزويجه من عشيقته، ووافق الأمام (ع) على ذلك بعد أن رأى هيام الطرفين ببعضهما، وحقق أمر زواجهما وأقنع ذريح بعد أن كان رافضاً لذلك الزواج، ولما تزوجا لم يوفقا في إنجاب مولود مما أغاض والدي قيس، لحاجتهما الى مولود يرث أموالهما ولا سيما إنَّ قيس الولد الوحيد لهما، لذلك رغبا في طلاق لبنى وزواجه من ابنة عمه لعله يرزق بمولود يكون وريثاً شرعياً لتلك الأموال، إلا أنَّه رفض الفكرة وفضل مقاطعتهم لسنوات، ولكن في النهاية رضخ لهم براً بهما وطلق لبنى لتتزوج من آخر، حينها مرض الطرفان بسبب وجدهما لبعض وناشدا بعضهما، الى الحال الذي جعل أهل لبنى يشكون تشهير قيس بعشق ابنتهم عند الخليفة معاوية، وقتها أمر الأخير واليه على المدينة مروان بن الحكم(٥٤- ٥٧هـ) على إلزام قيس بالكف عن مغازلة لبنى أو يهدر دمه في حال لو استمر بذلك، ورد في الخبر: "وقد كان أبوها شكا قيسا إلى معاوية وأعلمه تعرّضه لها بعد الطلاق.

فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه إن تعرّض لها، وأمر أباها أن يزوّجها... فزوّجها أبوها منه"[٢٠٩].

وكان معاوية قد اتخذ ذلك الموقف لبسط الآداب العامة في الشارع وتحقيق النظام، مع علمه بما يعانيه الطرفان المتحابان، أما دعوته لتزويج لبنى فمرادها قطع سبيل الأمل عن قيس في استمرار العلاقة والعودة إليها، ولا سيما إنَّ أهله غير راضين على صلته بها، وقد نفذ مروان ذلك وكف قيس عن ملاحقة لبنى ومغازلتها وأشرف على زواج الأخيرة، لكن الطرفين في ذلك وصلا الى حد الجنون والهيام وأصبحا حديثاً للناس، وفي ذلك قيل: "اشتد جزعه وجعل يتشنج أحر تشنج ويبكى أشد بكاء وأتى محلة قومها فنزل. عن راحلته وجعل يبكي في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكى أحر بكاء ثم قال قصيدة أتى بها أبو الفرج وبأخبارها أولها.

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا

إلى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعدها أخبارا له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل ظريفة ووجدها به وبكاها وإنكار زوجها ذلك عليها ومكاشفتها له به وعلة أخرى لحقت قيسا واشهارها وافتضاحها وما لحق قيسا ولبنى من الخبل واختلال العقل وقطع شعرا كثيرا آخر لقيس في خلال ذلك"[٢١٠].

ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة(٦٠-٦٤هـ) شكا إليه قيس ما وقع عليه من أبيه، وقتها قدر ما يعانيه من العشق وخفف عليه إجراء أبيه، الأمر الذي جعله يتنفس الصعداء ويعبر من جديد عما يعانيه، قيل: "وإنَّ قيسا مضى إلى يزيد ابن معاوية فمدحه وشكى إليه ما به فرق عليه وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث ما أحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به في هدر دمه وقطع شعرا كثيرا لقيس في خلال ذلك"[٢١١].

ويبدو أنَّ التخفيف الإجرائي الذي منحه يزيد لقيس جاء طبقاً لتحكيم الوازع العاطفي على العقلي في الحكم على تلك القضية، وإلا فإنَّ القضية التي عرضت عليه هي ذاتها التي عرضت على أبيه، لكن القرار هنا اختلف عن قرار أبيه الداعي الى إحلال الآداب العامة وبسط النظام، وهذا في واقع الحال زاد الطين بلة ودعا قيس للعودة الى التشهير بحبه للبنى من جديد.

ولما كان ابن أبي عتيق صديقاً لقيس فقد شعر به أكثر من غيره ووجد من اللازم أن يشرك الأمام الحسين (ع) لحل مشكلة إرجاع زواجهما مثلما تدخل(ع) لعقده سابقاً، حينها وافق الأمام وصحبه ابن أبي عتيق الى زوج لبنى دون أن يظهر له نيته في طلاق لبنى من زوجها وإرجاعها الى قيس، وحينما وصلا الى زوج لبنى رحب بهما وأعرب ابن أبي عتيق عما نوى عليه فتفاجأ الأمام(ع)

من ذلك واستنكر، لكن زوج لبنى وافق على ذلك بعد أن عوض إكراماً للأمام الحسين(ع)، وزوجت لبنى الى قيس حتى وفاتهما[٢١٢].

وكان للخليفة مروان بالحكم(٦٤-٦٥هـ) نصيب من التعاطي مع العشاق، فلما وقع العشق بين قيس بن الملوح وليلى العامرية ورفض أهل الأخير الزواج منها أعلن حبه لها للعوام وأشاعه بأشعار سمعها القريب والبعيد، حينها تولى أهلها منع قيس من اللقاء بابنتهم ومحادثتها وهددوه بالقتل إن فعل ذلك، بإزاء ذلك اختار داراً لامرأة هلالية مكاناً للقاء بها، ولما علم أهلها بذلك منعوا المرأة وهددوها من إيواء الطرفين، فامتنعت بعد أن اخبرت قيس بذلك فامتنع هو كذلك، وفي ذلك قيل:" إن قيس بن الملوح، وهو المجنون، لما نسب بليلى، وشهر بحبها، اجتمع إليه أهلها، فمنعوه من محادثتها، وزيارتها، وتهددوه بالقتل. وكان يأتي امرأة من بني هلال، ناكحا في بني الحريش، وكان زوجها قد مات، وخلَّف عليها صبية صغارا، فكان المجنون إذا أراد زيارة ليلى، جاء إلى هذه المرأة فأقام عندها، وبعث إلى ليلى، فعرفت له خبرها، وعرّفتها خبره. فعلم أهل ليلى بذلك، فنهوها أن يدخل قيس إليها فجاء قيس كعادته، فأخبرته المرأة الخبر، وقالت: يا قيس، أنا أمرأة غريبة عن القوم، ومعي صبية وقد نهوني أن أؤويك، وأنا خائفة أن ألقى منهم مكروها، فأحبّ أن لا تجيء إليّ هاهنا. فأنشأ يقول:

أجارتنا إنّا غريبان هاهنا
وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجريني عنك خيفة جاهل
إذا قال شرّا أو أخيف لبيب

قال: وترك الجلوس إلى الهلالية "[٢١٣].

لقد كان من المفترض على قيس بعد تلك الضغوطات والتهديدات أن يمتنع عن ملاحقة ليلى ومجاورتها لكن قوة العشق سلبت منه هذا التفكير وألزمته الاستمرار على ملاحقتها والحديث معها متخذاً في ذلك جانب المغامرة بحياته أمام أهلها، وقتها توجهوا الى الخليفة مروان بن الحكم لوضع حدٍ لقيس بعد أن عجزوا عن مواجهته، فأمر واليه على الحجاز بمنعه وهدر دمه إن استمر على ذلك النهج، حينها حجم قيس علاقته وأصابه اليأس من الزواج بليلى وجن، كما أنَّ ليلى أصيبت بالجزع وزوجت من غيره، ورد في الخبر:" وترك الجلوس إلى الهلالية، وكان يترقّب غفلات الحي في الليل. فلما كثر ذلك منه، خرج أبو ليلى، ومعه نفر من قومه، إلى مروان ابن الحكم، فشكوا إليه ما نالهم من قيس، وما قد شهرهم به، وسألوه الكتابة إلى عامله عليهم بمنعه من كلأم ليلى، وبخطبه إليهم. فكتب لهم مروان كتابا إلى عامله، يأمره فيه بأن يحضر قيسا، ويتقدّم إليه في ترك زيارة ليلى،

فإن أصابه أهلها عندهم، فقد أهدر دمه. فلما ورد الكتاب على عامله، بعث إلى قيس وأبيه، وأهل بيته، فجمعهم وقرأ عليهم كتاب مروان، وقال لقيس: اتّق اللّه في نفسك، لا يذهب دمك هدرا. فانصرف قيس وهو يقول:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرها
عليّ يمينا جاهدا لا أزورها
وأوعدني فيها رجال أبوهم
أبي وأبوها خشنت لي صدورها
على غير شيء غير أنّي أحبّها
وأنّ فؤادي عند ليلى أسيرها

فلما أيس منها، وعلم أنَّ لا سبيل إليها، صار شبيها بالتائه العقل، وأحب الخلوة، وحديث النفس، وتزايد الأمر به، حتى ذهب عقله، ولعب بالحصى والتراب، ولم يكن يعرف شيئا إلا ذكرها، وقول الشعر فيها، وبلغها هي ما صار إليه قيس، فجزعت أيضا لفراقه، وضنيت ضني شديدا، وإنّ أهل ليلى خرجوا حجّاجا، وهي معهم، حتى إذا كانوا بالطواف، رآها رجل من ثقيف، وكان غنيا كثير المال، فأعجب بها، على تغيّرها، وسقمها، فسأل عنها، فأخبر من هي، فأتى أباها، فخطبها إليه، وأرغبه في المهر، فزوّجه إيّاها"[٢١٤].

لقد كان الخليفة مروان مقدراً ما وقع على مشاعر قيس وليلى جراء العشق وعارفاً بعواقب علاقتهما، ولا سيما الجنون الذي أصيب به قيس والجزع الذي حالف ليلى[٢١٥]، لكنه كان ملزماً على بسط الآداب التي يريدها الشارع في هذا الشأن، حفاظاً على النظام وكفاً للتنازع الذي قد يصل أهل ليلى الى قتل قيس، مما يعقد العلاقة بين العشيرة التي ينتمي إليها الأخير وعشيرة ليلى، لذلك حينما تولى منع قيس عن ملاحقة ليلى كان في تلك المسألة صائباً.

وحينما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة (٦٥-٨٦هـ) اتخذ مواقف عديدة مع العشاق عكست واقع سياسته تجاههم، منها موقفه من عشق توبة بن الحمير لليلى الأخيلية، حينما عشقها من طرفه وبدأ يشهر بحبه لها بين العوام، الأمر الذي جعلها تشكوه الى الخليفة ويشكيها بمنعه من ذلك ليموت وجداً، ورد في الخبر ما نصه:" توبة بن الصمة وهو الذي يقال له مجنون ليلى كان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب، فرأى ليلى فهواها وتهتك بها وهام بها محبة وعشقا، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة، التي لم يسبق إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من المعاني والحكم، وقد قيل له مرة: هل كان بينك وبين ليلى ريبة قط؟ فقال: برئت من شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن كنت قط حللت سراويلي على محرم. وقد دخلت ليلى على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامة فقال لها: ماذا رأى منك توبة حتى عشقك هذا العشق كله؟ فقالت: والله يا أمير المؤمنين لم يكن بيني وبينه قط

ريبة ولا خنا، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الاشعار فيمن تهوى وتحب مع العفة والصيانة لأنفسها عن الدناءات. فأزال ظلامتها وأجازها"[٢١٦].

وقيل على أثر منع توبة عن التشبب بليلى أصابه الجنون ومات، ولما علمت ليلى بذلك أحبته وذهبت لزيارة قبرة لتبكيه وتموت فوق القبر[٢١٧]، وفي ذلك كان موقف عبد الملك مشابهاً لموقف أبيه تجاه قيس وليلى من ناحية شعورة بما يعانيه العاشق لكن المسؤولية التي أنيطت له فرضت عليه اتخاذ إجراء يحفظ النظام ولو على حساب حياة العشاق.

وروي أنَّ الخليفة عبد الملك بن مروان كان يخصص يومين في الأسبوع للنظر في مظالم الناس، وفي أحد الأيام نظر في قصص الناس وإذا بقصة لغلام يناشد فيها الخليفة بأن يسمح لجاريته أن تغنيه ثلاث أشعار ثم يطلب ما يريد، وقتها استشاط عبد الملك غضباً لكنه قدر ما يعانيه الغلام من وراء عشقه لتلك الجارية، وأمر حاجبه بإحضاره، فأحضر وكلمه وأظهر له عظم وقاحته على ذلك الطلب، وتوعده بعد أن ينفذ طلبه: " فقال له عبد الملك: يا غلام، أهذه قصّتك؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: وما الذي غرّك مني، واللّه لأمثلنّ بك، ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة، عليّ بالجارية، فجيء بجارية كأنّها فلقة قمر، وبيدها عود، فطرح لها كرسي، وجلست. فقال عبد الملك: مرها يا غلام. فقال لها: غنّيني يا جارية بشعر قيس بن ذريح:

لقد كنت حسب النفس لو دأم ودّنا
ولكنّما الدنيا متاع غرور
وكنّا جميعا قبل أن يظهر الهوى
بأنعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا
بطون الهوى مقلوبة لظهور

قال: فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقا.

...ثم قال له عبد الملك: مرها، تغنّيك الصوت الثاني.

فقال: غنّيني بشعر جميل:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة
بوادي القرى إنّي إذن لسعيد
إذا قلت: ما بي يا بثينة قاتلي
من الحب، قالت: ثابت ويزيد

فغنّته الجارية، فسقط الغلام مغشيا عليه ساعة، ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مرها، فلتغنّك الصوت الثالث. فقال: يا جارية، غنّيني بشعر قيس بن الملوّح، المجنون:

فلا تحسبي أنّ الغريب الذي نأى
ولكنّ من تنأين عنه غريب

فغنّته الجارية"[٢١٨].

بعد أن أكمل الغلام طلبه الأول كان عبد الملك منتظراً ما سيطلبه بعد ذلك ليتولى

تحقيقه، ولا سيما إنَّه علم أنَّه عاشقاً لجاريته وبالتالي سهل عليه الأمر، لكن العشق وحنين شوقه حال دون ذلك، إذ ما إن سمع الغلام بصوت محبوبته ألقى بنفسه من الشرفة ليموت منتحراً، وقتها علم عبد الملك أنَّ الطلب الذي أراده لم يتحقق، فندم وحزن عليه وعلم انه غريب، وفي ذلك قيل:" فطرح الغلام نفسه من المستشرق فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع. فقال عبد الملك: ويحه لقد عجل على نفسه، ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل، وأمر فأخرجت الجارية من قصره، ثم سأل عن الغلام، فقالوا: غريب لا يعرف، إلا أنَّه منذ ثلاث ينادي في السوق ويده على رأسه:

غدا يكثر الباكون منا ومنكم

وتزداد داري من دياركم بعدا"[٢١٩].

ويبدو أنَّ الغلام انتحر بعد أن ظن أنَّ عشقه مستحيل، على اعتبار أنَّ عشيقته جارية الخليفة التي من غير الممكن الوصول إليها والارتباط بها، لذا أختار الانتحار لتخليص نفسه من ألم العشق وعواقبه من جهة وعقوبة الخليفة التي توعده بها من جهة أخرى، فضلا عن عدم استيعابه الموقف الذي عاشه. ومن المواقف الأخرى لعبد الملك تجاه العشق قيل إنَّه أرسل الى عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي(٧٥-٩٥هـ) كتاب يتضمن إرسال ثلاث جواري إليه ضمن مواصفات مميزة، حينها أرسل الحجاج جماعة من النخاسين الى أقاليم مختلفة بغية الحصول عليهن، ولما عثر عليهن أرسلهن ضمن وفد من النخاسين الى الخليفة، ومن أعضاء الوفد كان فتى يعود لأحد النخاسين حصلت بينه وبين إحدى الجواري علاقة قادتهما الى العشق، مما جعل أعضاء الوفد الآخرين يقومون بتكبيله ومحاسبته، بغية إرضاء الحجاج في حال لو علم بما جرى، ولما وصل الوفد برفقة الجواري تفحص الخليفة المواصفات التي أرادها في الجواري، فوجد أنَّ إحدى الجواري قد تغير لونها وذبل جسدها، فاستغرب وسأل عن ذلك فطلب أعضاء الوفد الأمان لقول الحقيقة، فمنحهم الأمان وبينوا للخليفة أنَّها وقعت في عشق فتى، فلما احضروه له أمتعض وقال له:" يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال: وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو إلا هوى الجارية فقال: هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحاً مسروراً إلى نحو أهله"[٢٢٠].

طبقاً لما ورد أنَّ الخليفة قد شعر بمعاناة المتحابين، وقدر ما ستؤول اليه أمورهما في حال عدم ارتباطهما، الى جانب ذلك أنَّه خلصهما من عقوبة الحجاج وقت سماعه خبر ما جرى.

وضمن السياق نفسه ورد في الرواية أنَّ الخليفة سليمان بن عبد الملك(٩٦-٩٩هـ) كان لديه جارية وغلام متحابين، فسمع الخليفة شعراً غزلياً لهما يعبران من خلاله عن مشاعرهما نصه:

"ولقد رأيتك في المنام كأنما
عاطيتني من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأننا
بتنا جميعاً في فراش واحد
فطفقت[٢٢١] يومي كله متراقداً
لأراك في يومي ولست براقد

فأجابته.

خيراً رأيت وكلما عاينته
ستناله مني برغم الحاسد.."

حينها أرسل إليهما وجهزهما بما يحتاجه زواجهما وأمر بتزويجهما[٢٢٢]، لقطع دابر تداعيات العشق وعواقبه، ولإشعار العوام بعطفه ورعايته.

الخاتمة :

بعد أن انتهينا من دراسة متطلبات الموضوع تبينت لنا مجموعة من النتائج التي خرجت بها الدراسة نجملها بالنقاط الآتية:.

١- بما أنَّ العشق مظهر وجداني يخيم على مشاعر وأحاسيس الفرد دون شعور وإرادة فقد فرض على الخلفاء مثلما فرض على غيرهم، بصفتهم بشر لديهم ما لدى البشر من أحاسيس ومشاعر تتأرجح وتتأثر بما يحيط بها من الأشياء، ولا سيما النساء اللواتي لهن جاذبية مؤثرة على الآخرين.

٢- تعاطى الخلفاء مع العشق تعاطياً مشابهاً لما يتعاطاه الآخرون تجاهه، لجريان سنة العشق عليهم وعلى غيرهم بالتساوي، فهم وإن تمتعوا بمكانة سياسية واجتماعية ودينية مرموقة في الدولة إلا أنَّ مشاعر العشق واحاسيسه سرت عليهم مثلما سرت على غيرهم من البشر، لذلك لا غرابة من قبول الخليفة ظروف العاشق وتبعاته ولو كان من ذويه، لمعرفته بمعاناة العشق وتداعياته، لكن ليست كل الظروف والممارسات مقبولة عند الخليفة مطلقاً بعضها وإن كان يعذرها في نفسه لكنه يرفضها أمام الرعية لحفظ النظام والآداب العامة.

٣- مثلما كان للعشق تداعيات سلبية على شخصية الخليفة العاشق، له تلك التداعيات على الخليفة نفسه إن لم نقل أكثر وقت وقوع أحد أفراد أسرته بمجرياته؛ لأنَّهم في نظر المجتمع صورة عاكسة لشخصه يتأثر بما يسري عليهم ويمس بما يقال عنهم، وقد أخذ بعض أبناء الخلفاء ونسوتهم مأخذاً كبيراً من سمعتهم أمام الحاشية المحيطة بهم، نتيجة وقوعهم في عشق بعض الرجال، وكانت سرية تلك المواقف مرهونة بمدى احتفاظ

أفراد الحاشية بحيثياتها دون ذلك تكون مفضوحة أمام الرأي العام.

٤- أدى العشق دوراً مؤثراً على سياسة الخلفاء العشاق تجاه البعض، فوقوعهم في هذا المطب المعقد أو وقوع ذويهم جعلهم يتولون إجراءات مختلفة للحفاظ على سرية بعض العلاقات الغرامية التي تخصهم، فضلاً عن تقديمهم بعض التنازلات، بغية تلافي تداعيات العشق وعواقبه.

٥- مظاهر العشق التي عاشها بعض الخلفاء وذويهم كانت غير مصدقة عند بعضهم، لا بل جعلت موضوعة من قبل أعدائهم، متجاهلين أنَّ الخلفاء وذويهم بشر يتأثرون بما يعترضهم بغض النظر عن مكانتهم السياسية ومنزلتهم الاجتماعية، كما أنَّ الروايات التاريخية المعتبرة دللت على وقوعها.

٦- فهم الخلفاء لظروف العشق وتداعياته جعلتهم يتعاطفون مع العشاق ويسعون الى تسهيل الأمور التي تعترض تحقيق هدفهم في الارتباط، يعينهم على ذلك المال مرة والتوسط بالوجاهة مرة أخرى.

الهوامش والتعليقات :

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، أدب الحوزة (قم – ١٤٠٥ هـ/١٩٨٤م)، ج١٠/٢٥١-٢٥٢. وينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة الهجرة (طهران – ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ج١/ ص١٢٤، الجوهري، أبو نصير إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط١، دار العلم للملايين (بيروت – ١٩٥٦م)، ج٤/ص١٥٢٥-١٥٢٦، ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني(ت٦٧٩هـ) شرح نهج البلاغة، مؤسسة النصر(قم-د.ت)ج٣/ص٦٢-٦٤.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)، معجم الادباء، ط٣، دار الفكر(بيروت-١٩٨٠هـ)ج١٦/ص٨٨، النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الادب، مطابع كوستا تسوماس(القاهرة-د.ت) ج.٢/ص١٣٠.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢/ص١٢٦. وللمزيد ينظر: اخوان الصفا (ت ق ٤ هـ)، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر(بيروت-١٩٧٦م) ج٣/ ص٢٧٢. وينظر: الابشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ)، المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد، ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٩٨٦م)، ج٢/٦٥٨.

(٤)المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي، (ت ٣٤٦ هـ)،مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف اسعد داغر، ط١، دار الهجرة (قم – ١٩٨٤م)، ج٣/ص٣٧١-٣٧٢، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)،وفيات الأعيان وأنباء آخر الزمان، دار الثقافة (بيروت – د.ت)، ج٤/ص٢٦٦.

(٥) أو ما تعرف الماليخوليا وهي" **ضَرْب من الجُنُونِ، وَهُوَ اَنْ يَحْدَثَ بالإنسان أَفْكار رَدِيئَةٌ وَيغْلِبَه الحُزْنُ والخَوْفُ، وربَّما صَرَخَ ونَطَقَ بِتِلْكَ الأفْكَارِ وخَلَط في كَلامِهِ**"، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: فاز محمد، دار الكتاب العربي(بيروت-١٩٩٦م)

ص١٢٧، ويعدها الباحثون المعاصرون حالة من الاكتئاب الشديد. ينظر: بن احمد قويدر، من تراث الطب الاسلامي اسحاق بن عمران ومقاله في الماخوليا انموذجاً، إصدارات لجنة البحث والدراسة في الطب النفس، العدد الرابع،(د.م-٢٠١٣م)، ص٩.

(٦) ابن سينا، الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا(ت٤٢٨هـ)، القانون، دار صادر(بيروت-د.م) ج٢/ص٧١-٧٢، وممن وافق ابن سينا في جعل العشق مرضاً ابن الجوزي، ٨، ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد الجوزي القرشي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد (د.م-١٩٦٢م)، ج١/ص٥٨٢.

(٧) الغزالي، ابي حأمد محمد بن محمد بن محمد(ت٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلأم عبد الشافي، دار الكتب العلمية(بيروت-١٩٩٦م) ص١٦.

(٨) النويري، نهاية الارب،ج٢/ص١٢٨. وينظر: الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٧م)، ج٢/ص٢٦٨.

(٩) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة(قم-١٤١٧هـ)، ص٧٦٦.وينظر:ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ)،الطب النبوي،تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية (بيروت-د.م)، ص٢٠٧.

(١٠) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتاب العربي(بيروت-د.ت)، ج٨/ ص١٨٣.

(١١) سورة النور، اية: ٣٠.

(١٢) سورة النور، اية: ٣١.

(١٣)الغزالي، احياء علوم الدين، ج٢/ ص١٨٥.

(١٤) ينظر: الغزالي، احياء علوم الدين،ج٢/ص١٨٥.

(١٥) رسائل اخوان الصفا، ج٣/ص٢٧٣.

(١٦) ذم الهوى، ج١/ص٥٨٤.

(١٧) سورة النور، اية: ٣١.

(١٨) حياة الحيوان، ج٢/ ص٢٦٨.

(١٩) مروج الذهب، ج٣/ص٣٧٢.

(٢٠) احياء علوم الدين،ج٦/ ص١٥٤-١٥٥.

(٢١) ذم الهوى، ج١/ص٢٩٦..

(٢٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢/ص١٢٦.

(٢٣) اخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا،ج٣/ص٢٧٧.

(٢٤) ينظر: اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا، ج٣/ص٢٧٠.

(٢٥) ابن قتيبة، أبي عبد الله بن المسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة – ١٩٩٦ م)،ج٣/ص١٨.

(٢٦) ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة – ١٩٥٩هـ)، ج٢٠/ص٢٦٠.

(٢٧) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٧م)، ج٢/ص٢٦٨.

(٢٨) مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)،صحيح مسلم، دار الفكر(بيروت-د.م)، ج٨/ص ٤١.

(٢٩) نهاية الأرب، ج٢/ص١٣١

(٣٠) الطب النبوي،ص٢٠٨

(٣١) رسائل اخوان الصفا، ج٣/ص٢٧٢، ابن الجوزي، ذم الهوى، ج١/ص٢٩٦.

(٣٢) رسائل اخوان الصفا، ج٣/ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣٣) نهاية الارب، ج٢/ص١٣٦.

(٣٤) رسائل اخوان الصفا، ج٣/ص٢٧٤. وينظر: النويري، نهاية الأرب،ج٢/ص١٣٧-١٣٨.

(٣٥) البخاري، صحيح البخاري، ج٢/ص٢٢٨-٢٢٩.

(٣٦) الغزالي، إحياء علوم الدين،ج٦/ص١٥٥.

(٣٧) السهاد يعني الأرق. الجوهري، الصحاح، ج٢/ص٤٩٢. وهي على النقيض من الرقاد.

(٣٨) اصلها مشغوفة وحرفت بإسقاط النقطة.

(٣٩) محمد بن يحيى الصولي(ت٣٣٥هـ)،الاوراق، تحقيق: هيورث دن، شركة الأمل(القاهرة-٢٠٠٤م)، ج١/ ص٥٧-٥٨.

(٤٠)النوى يقصد به البعد. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السأمرائي، ط٢، مؤسسة الهجرة (طهران – ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ج٤/ص٤١١.

(٤١) كأنه قصد من المنجر النفس المختلط بالحرارة. ينظر: الزبيدي،محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القأموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٩٤م)، ج٧/ص٥٠٧.

(٤٢) القانون، ج٢/ص٧١-٧٢.

(٤٣) للمزيد عن من قتله العشق ينظر: ابن الجوزي، ذم الهوى، ج١/ص٤٩٤.

(٤٤) النويري، نهاية الارب، ج٢/ص١٤٨.

(٤٥) ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي(ت٥٦٢هـ)،التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عبّاس و بكر عبّاس، دار صادر،(بيروت-١٩٩٦م)، ج٦/ص١٥٤-١٥٥.

(٤٦) " **المجنون قيس بن الملوح... من بني عامر بن صعصعة. وقيل: من بني كعب بن سعد. الذي قتله الحب في ليلى بنت مهدي العامرية ... فقيل: إن المجنون علق ليلى علاقة الصبا وكانا يرعيان البهم...وحلت مكانا لم يكن حل من قبل فاشتد شغفه بها حتى وسوس وتخبل في عقله... فكان لا يؤويه رحل ولا يعلوه ثوب إلا مزقه. ويقال: إن قوم ليلى شكوا المجنون إلى السلطان، فأهدر دمه، وترحل قومها بها. فجاء وبقي يتمرغ في المحلة...وجزعت هي لفراقه وضنيت. وقيل: إن أباه قيده، فبقي يأكل لحم ذراعيه، ويضرب بنفسه فأطلقه، فهام في الفلاة، فوجد ميتا، فاحتملوه إلى الحي وغسلوه ودفنوه. وكثر بكاء النساء والشباب عليه... وشعره كثير من أرق شئ وأعذبه، وكان في دولة يزيد وابن الزبير** ".الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ)، سير اعلأم النبلاء،ط٩، مؤسسة الرسالة(بيروت-١٩٩٣م)، ج٤/ص٥-٧

(٤٧) ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت٣٥٦ هـ)،الأغاني، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي،ط٢،دارالكتب المصرية(القاهرة-١٩٥٢م)، ج٢/ص٣٢٩.

(٤٨) لم نجد لها ترجمة ما وجدناه انها كانت من جواري المدينة المنورة كما سيرد ذلك لاحقاً.

(٤٩) ابن الأثير ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر(بيروت- ١٩٦٦م)، ج٥/ص١٢٠.

(٥٠) ابن سينا، القانون،ج٢/ص٧٢.

(٥١) موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ)،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة (بيروت – د.ت)، ص٥٢-٥٣.

(٥٢) سورة البقرة، اية: ١٩٥.

(٥٣) ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ط٢، المكتبة الحيدرية (النجف الأشرف – ١٩٦٥م)،ص١٩، المفيد، الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)،الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث،ط٢،دار المفيد للطباعة والنشر(بيروت-١٩٩٣م)،ج١/ص١٨، ابن الجوزي، ذم الهوى، ج١/ ص٤٦١.

(٥٤) **"عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار المكي القرشي كان يلقب بالقس لعبادته. روى عن أبي هريرة وابن عمر وابن الزبير..وكان حليفا لبني جمح وكان ينزل مكة وكان من عبادها فسمى القس لعبادته ثم ذكر قصته مع سلامة وشغفه بها وبعض اشعاره فيها ورجوعه إلى حاله الأولى وأنها اشتريت له فلم يقبلها "**.ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٨٤م)، ج٦/ص١٩٣.

(٥٥) **"إحدى جاريتي يزيد بن عبد الملك اللتين اشتهر ذكرهما وانتشر حبه لهما.. وكانت من مولدات المدينة بها نشأت وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة ومالك بن أبي السمح وابن سريج وجميلة وعزة الميلاء وكانت أحسن القيان غناء في زمانها.. كانت جارية لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف التي تعرف بسلامة القس فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار فأعجب بها.. كانت حية إلى بعد قتل الوليد ابن سيدها يزيد بن عبد الملك "**. ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)،تأريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو أجتاز بنواحيها من وراديها وأهلها، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٩٥م)، ج٦٩،ص٢٣١-٢٣٨.

(٥٦) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – ١٩٧٤م)، ج٨/ص٢٥٤، ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٨، ص٤٥٧، ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد

بن قدأمة المقدسي(ت٦٢٠هـ)، التوابين، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط، مكتبة الشرق الجديد(بغداد-د.م) ص٢٢٨-٢٢٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩،ص٢٣٤.

(٥٧) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٦.

(٥٨) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٦.

(٥٩) لم نجد له ترجمه وما عرف عنه عرف عن ابيه قيل:**"حسان بن أبي الأشرس، واسمه المنذر ابن عمار الكاهلي الأسدي، ويقال: مولى أسد بن خزيمة، أبو الأشرس الكوفي، أخو المنذر بن أبي الأشرس، ووالد حبيب بن حسان بن أبي الأشرس، وجد صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب ابن حسان البغدادي الحافظ المعروف بجزرة. روى عن: سعيد بن جبير (س)، وشريح بن الحارث القاضي، ومغيث بن سمي، وأبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود. روى عنه: سليمان الأعمش (س) وعبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، ومنصور بن المعتمر.روى النسائي حديثا واحدا، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس "**. ينظر: المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢ هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد، ط٤، مؤسسة الرسالة (بيروت – د.ت)، ج٦/ص١٢.

(٦٠) الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي (ت٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٨٨م)، ج٢/ص٤٠٤.

(٦١) ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٨/ص٣٠٠، ج١٣/ص١٦١-١٦٢، التنوخي، أبو علي الحسن بن أبي القاسم (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي،(د.م-١٩٧٣م)، ج٥/ص١٥٥-١٥٧، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦/ص٢١٢-٢١٤، ابن الجوزي، المنتظم،ج٢/ص١٦٨. وللمزيد عمن مارس القتل بسبب العشق ينظر: السراج، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج(ت٥٠٠هـ)، مصارع العشاق، تحقيق: بسمة أحمد صدقي الدجاني، (د.م-د.ت)،ج٥/ص١٠١.

(٦٢) المقصود بالناصر هنا هو عبد الرحمن الناصر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموي، الذي أعلن الخلافة الأموية في الاندلس(٣١٦-٣٥٠هـ).ابو الفدا، عماد

الدين اسماعيل (ت٧٣٢هـ)،المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة(بيروت- د. م)، ج٢/ص١٠٢ والشخص المعني هو أحد أحفاده من الأمراء.

(٦٣) ابن الجوزي، ذم الهوى، ج١/ص٤٦٢. وينظر: ابن الابار، الحلة السراء، ج١/ص٢٢٠-٢٢١.

(٦٤) ابن الابار، الحلة السراء، ج١/ص٢٢١.

(٦٥) النويري، نهاية الارب، ج٢/ص١٣٨.

(٦٦) ابن الجوزي، ذم الهوى،ج١/ص٣٤.

(٦٧) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية،ج٧/ص٢٤٠. والشواهد على ذلك كثيرة ينظر: ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، منشورات مكتبة بصيرتي (قم – د.ت)، ص٩٠.

(٦٨)**"وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب.. كان أبو دهبل رجلا جميلا شاعرا، وكانت له جمّة يرسلها فتضرب منكبيه، وكان عفيفا، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه، ومدح [٥] معاوية، وعبد اللّه بن الزّبير، وقد كان ابن الزبير ولّاه بعض أعمال اليمن**...". ابو الفرج ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ص٨٥.

(٦٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج٦٣/ص٣٥٥-٣٥٦. ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ ص٩٣-٩٤، التنوخي، نشوار المحاضرة،ج٧/ص١٢٣-١٢٥.

(٧٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج٥٣/ص٤٤٦، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٠/ص٤٤٤.

(٧١) ابن ماكولا، الحافظ ابن ماكولا (ت٤٧٥هـ)، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار احياء التراث العربي(بيروت-د.م)، ج٢/ص٥٢٤.

(٧٢) **"جميل بثينة أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح... بن قضاعة الشاعر المشهور صاحب بثينة أحد عشاق العرب عشقها وهو غلام فلما كبر خطبها فرد عنها فقال الشعر فيها وكان يأتيها سرا ومنزلهما وادي القرى"** ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء آخر الزمان، دار الثقافة (بيروت – د.ت)، ج١/ص٣٦٦.

(٧٣) **"بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو الأحب بن حن ابن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم عمرو ويقال أم الوليد ويقال أم عبد الملك ويقال أم المسود العذرية صاحبة جميل بن معمر وفدت على عبد الملك ويقال إن لأبيها حبا صحبة..وكان زوجها بنبيه بن الأسود العذري والد سعيد بن الأسود.. يقال هي بنت خالة جميل"** ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩/ص٥٧.

(٧٤) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني،ج٨/ص٣٠٠.

(٧٥) ينظر: الابشيهي، المستطرف، ج ٢/ ص٦٦٣.

(٧٦) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٩/ص٣٦-٣٧، ابي هلال العسكري، أبو هلال العسكري،الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى (ت ٣٩٥ هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد ابراهيم وعبد المجيد قطأمش، دار الجيل(بيروت-١٩٦٤م)، ج٢/ص١٢٣، الميداني، ابي الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، مؤسسة الاستانة الرضوية للطباعة والنشر(مشهد-د.ت)، ج٢/ص٤٢،، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٠/ص١٧٣.

(٧٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢/ص٤١٣-٤١٤، ج٨/ص٣٠٠.

(٧٨) النويري، نهاية الارب، ج٢/ص١٣٩.

(٧٩) الشواهد على ذلك كثيرة ينظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥/ص١٦٦-١٦٧.

(٨٠) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢/ص٦٦٥.

(٨١) الابشيهي، المستطرف، ج٢/ص٦٦١.

(٨٢) ابن سينا، الأشارات والتنبيهات، ط١، تحقيق: نصير محمد،(قم-د ت) ج٣/ص٣٨٣-٣٨٤.نقلت لنا الروايات نماذج من هذا العشق المجرد من الشهوة ولكن على نطاق ضيق ينظر: الأبشيهي، المستطرف،ج٢/ص٦٦٤،أما حديث النبي(ص) بملازمة الشهوة للعشق فهو يحمل على محمل المنظور العام بين المتحابين قل ما نجد التجرد من الشهوة بين الطرفين.

(٨٣) العيني،بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١م)،عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث (بيروت – د.ت)،ج١٤/ص١٢٧، المرداوي، علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي(ت٨٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الأمام المبجل أحمد بن حنبل،تحقيق: محمد

حأمد الفقي، دار احياء التراث العربي(بيروت-١٩٨٦م)،ج٢/ ص٥٠٤.

(٨٤) ينظر: البهوتي،منصور بن يونس الحنبلي (ت١٠٥١هـ/١٦٤١م)، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٧م)، ج٢/ص١١٩.

(٨٥) المراد بالعيي هنا الثقيل. الفراهيدي، العين، ج٤/ص٣٠.

(٨٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤/ص٢٨٣-٢٨٤.

(٨٧) سورة النور، اية: ٣١.

(٨٨) سورة النور، اية:٣٢.

(٨٩) الغزالي، احياء علوم الدين،ج٢/ص١٨٥.

(٩٠) ينظر: الغزالي، احياء علوم الدين،ج٢/ص١٨٥.

(٩١) رسائل اخوان الصفا، ج٣/ص٢٧٣، النويري، نهاية الارب، ج٢/ص١٣٢.

(٩٢) الغزالي، احياء علوم الدين،ج٨/ص١٨٥.

(٩٣) ذم الهوى، ج١/ ص٥٨٢.

(٩٤) البخاري، صحيح البخاري، ج٦/ص١١٧.

(٩٥) ابن الجوزي، ذم الهوى، ج١/ص٥٨١.

(٩٦) احياء علوم الدين، ج٨/ص١٨٣، النويري، نهاية الارب، ج٢/ص١٣٢.

(٩٧) ذم الهوى،ج١/ص٥٨٣.

(٩٨) النويري، نهاية الارب،ج٢/ص١٢٨.

(٩٩)الألية يقصد بها الدبر(الخلفية) وقيل الخصيتان. ابن منظور، لسان العرب، ج١٤/ص٤٢-٤٣، الزبيدي، تاج العروس، ج١٠/ص٣٤٩.

(١٠٠) بمعنى الأخذ أو السرقة. الأهوازي، ابو يوسف يعقوب بن اسحاق ابن السكيت (ت٢٤٤هـ)،اصلاح ترتيب المنطق، تحقيق: محمد حسن، ط٢، مطبعة ميقات(طهران-١٤١٢هـ)،ص٣١. وجاءت الكلمة هنا مجازاً عن الوصول الى المعشوق.

(١٠١) اسفل الألية مما يلي الارض. ابن منظور، لسان العرب، ج٩/ص١٢٧. والظاهر ان المكان الذي خص بالكوي ينحصر بين اسفل الألية وأطراف الخصيتان.

(١٠٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩/ص٤٠٠-٤٠١.

(١٠٣)ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٩/ص٣٦-٣٧، ابو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج٢/ص١٢٣، الميداني، مجمع الأمثال، ج٢/ص٤٢،، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٠/ص١٧٣.

(١٠٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩/ص٣٩٩.

(١٠٥) البخاري، صحيح البخاري، ج٦/ص١١٧.

(١٠٦) ابن ابي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العيسي (ت٢٣٥هـ)، مصنف بن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٨٩م)، ج٣/ص٢٧١، الطبراني، المعجم الكبير ،تحقيق حمدي عبد المجيد،ط٢،دار إحياء التراث العربي (بيروت – د.ت)، ج١١/ص٤٢.

(١٠٧) القانون، ج٢/ص٧٢.

(١٠٨) الغزالي، احياء علوم الدين، ج٢/ص٦٦٤.

(١٠٩) القانون، ج٢/ص٧٢-٧٣.وينظر: ابن سهل الطبري ابي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري(ت٢٦٠هـ)، فردوس الحكمة، تحقيق: محمد زبير الصديقي، مطبعة أقتاب،(برلين-١٩٢٨م)، ص١٠٣.

(١١٠) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي ص٢١١.

(١١١) موضع اسفل مكة قرب شعب الشافعيين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٤٣٩.

(١١٢) النصوص اللاحقة التي لها صلة بموضوع العلاقة بين عاتكة وابي دهبل تظهر عشقهما لبعض.

(١١٣) الظبي تطلق على ذات الحافر وبضمنها النساء. الجوهري، الصحاح، ج٦/ص٢٤١٧. وجاءت هنا للدلالة على الامرأة التي رآها اول الأمر.

(١١٤) طول المقام. الفراهيدي، العين، ج٨/ص٢٥٢.

(١١٥) من نواحي دمشق. ينظر: الهمذاني، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني المعروف بابن الفقيه (ت٣٤٠هـ)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب(بيروت-١٩٩٦م)، ص١٦٢.

(١١٦) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ص٩٠-٩٢، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦/ص١٨٠-١٨١.

(١١٧) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ص٩٢، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦/ص١٨١

(١١٨) **"جهلة الفتوة واللهو من الغزل"**. الفراهيدي، العين، ج٧/ص١٦٨.

(١١٩) تعني قبض أصابع اليد على الجلد. ينظر: الفراهيدي، العين،ج٥/ص٦١. وجاء المعنى هنا كناية عن وصف اشعار ابو دهبل بالقرص الذي يصيب جلد يزيد.

(١٢٠) ابو الفرج ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ص٩٢-٩٣، التنوخي، المستجاد في علم الاجواد، تحقيق: محمد كرد علي(د.م-١٩٧٠م)، ص٢٢٧-٢٢٨، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦/ص١٨١-١٨٤..

(١٢١) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ص٩٢-٩٣،ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦/ص١٨١-١٨٢. هذا لايعني إن جميع الشعراء كانوا يغازلون نساء الخلفاء علناً بل إن بعضهم اتخذ جانب الكناية خوفاً على نفسه من سلطانهم، وبضمنهم كان الاحوص الذي كان يغازل عاتكة بنت يزيد بن معاوية بالكناية. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٢/ ص٢٠١.

(١٢٢) **أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة القرشي المخزومي الشاعر المشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة وله في ذلك حكايات مشهورة وكان يتغزل في شعره.. يروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشام بترس قبيح فقال له يا أخا الشأم مجن ابن أبي ربيعة أحسن من مجنك... وكانت ولادته...سنة ثلاث وعشرين للهجرة وغزا في البحر فأحرقوا السفينة فاحترق في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره مقدار سبعين سنة".** ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣/ص٤٣٦-٤٣٩.

(١٢٣) مقدار الميل يساوي ١٨٥٥متر. علي جمعة محمد، المكاييل والموازين الشرعية، ط٢، مطبعة القدس(القاهرة-٢٠٠١م)،ص٥٣.

(١٢٤) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج١/ص١٦٦-١٦٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج٤٥/١٠٠-١٠١.

(١٢٥) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ص٩٣،ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦/ص١١٨٣-١٨٤.

(١٢٦) تاريخ التمدن الاسلامي، مراجعة وتحقيق: حسين مؤنس، دار الهلال(القاهرة-د.م)، ج٥/ ص٧٤-٧٥.

(١٢٧) الغزل. ابن منظور، لسان العرب، ج١/ص٤٨١.

(١٢٨) ابو الفرج ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٧/ص٩٠، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦/ص١٨٠-١٨١. وللمزيد عن ثقافة التشبب ينظر: جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج٥/ ص٧٣.

(١٢٩) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاؤه(القاهرة- د.م)، ج١/ ص١٥٣-١٦٦، الميداني، مجمع الأمثال، ج١/ص٣١١-٣١٢، ابن الاثير، الكامل، ج٣/ص٥٠٣.

(١٣٠) لم نجد ترجمة له وهو غير الصحابي اليهودي عبدالله بن سلام، لان الأخير توفي سنة ٤٣ هـ في حين المعني كان معاصر لأمر الخطوبة سنة٦ هـ. ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١/ص٣١٢-٣١٢، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢/ص٤١٣-٤٢٠.

(١٣١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٦٨. ذكر النويري ارينب باسم زينب بنت اسحاق في اثناء تطرقه للخبر. ينظر: نهاية الارب، ج٦/ص١٨٠-١٨٥.

(١٣٢) هو **"أبو هريرة الدوسي الأزدي اليماني من دوس بن عدثان بن عبدان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث له صحبة من النبي (صلى الله عليه وسلم) واختلفوا في اسمه فقيل عبد الرحمن بن صخر وقيل عبد..من أهل العلم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) والتابعين مات بالمدينة سنة سبع وخمسين".** ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٧/ص٣١١.

(١٣٣) هو **"الأمام القدوة. قاضي دمشق، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس.. الأمام القدوة. قاضي دمشق..الأنصاري الخزرجي.. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث.. هو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك.. وولي القضاء بدمشق، في دولة عثمان...مات قبل عثمان بثلاث سنين".** الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢/ص٣٣٥-٣٣٧.

(١٣٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٦٨.

(١٣٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٦٩.

(١٣٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٦٨-١٦٩.

(١٣٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٦٨-١٧٠.

(١٣٨) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٧٠.

(١٣٩) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٧١-١٧٢.

(١٤٠) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٧٢.

(١٤١) الحث يعني اعطاء الشيء القليل. الزبيدي، تاج العروس، ج١٩/ص٣٠٦. والمراد بالحث هنا أي البلورات القليلة التي تشضت من الدر بعد استخدامه في انتزاع الخاتم.

(١٤٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٧٢-١٧٣.

(١٤٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٧٢.

(١٤٤) ينظر: العقاد، عباس محمود، ابو الشهداء الحسين بن علي، نهضة مصر للطباعة والنشر(القاهرة-د.ت)، ص٢٢.

(١٤٥) مجمع الأمثال، ج١/ص٣١١-٣١٢.

(١٤٦) لم يعرف اسمها ولم تذكر المصادر التاريخية انها كانت احدى زوجات عبد الله بن عامر بن كريز. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥/ص٤٤-٤٩.

(١٤٧) هو "**عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي** " ولد في مكة سنة ٤هـ،ولي أمارة البصرة في خلافة عثمان بن عفان(رض) (٢٣-٣٥هـ) بين عامي(٢٩هـ - ٣٥هـ)، كان له دور في فتح الكثير من مناطق بلاد فارس، وكان من المؤيدين لمعاوية في حربه مع الإمام علي(ع)، ولي أمارة البصرة في خلافة معاوية(٤١-٦٠هـ) بين عامي (٤١-٤٣هـ)، توفي سنة ٥٩هـ وكان من اشراف قومه واجوادهم. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥/ ص٤٤-٤٩،ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن أحمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل (بيروت – ١٤١٢ هـ/١٩٩١م)،ج٣/ ص٩٣١-٩٣٣، الصفدي، خليل بن ايبك بن عبدالله (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت – ٢٠٠٠م)، ج١٧/ص١٢٠-١٢١.

(١٤٨) مجمع الأمثال، ج١/ص٣١١-٣١٢.

(١٤٩) لم يعرف اسمها ولم تذكر المصادر التاريخية انها كانت احدى زوجات عبد الله بن عامر بن كريز. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥/ص٤٤-٤٩.

(١٥٠) الميداني، مجمع الأمثال، ج١/ص٣١١-٣١٢، ابن الاثير، الكامل، ج٣/ص٥٠٣.

(١٥١) توفي سنة ٥٧هـ وأمر الخطوبة وقع سنة ٥٦هـ أي بعد اخذ البيعة ليزيد. خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص١٩٢..

(١٥٢) العاملي، جعفر مرتضى، قصة ارينب بنت اسحاق حديث خرافة، قسم المقالات والابحاث،(د.ت-د.م) ص١٠..

(١٥٣) **"عمر بن بلال أبو حفص الأسدي من أصحاب عبد الملك بن مروان "**. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٣/ص٥٥١.

(١٥٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية،ج٨/ص٢٢٠-٢٢١، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٣/ ص٥٥١-٥٥٢.

(١٥٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٣/ ص٥٥٢.

(١٥٦) البلاذري، أنساب الاشراف،ج٩/ص٢١٥..

(١٥٧) **" أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس زوج الوليد بن عبد الملك وابنة عمه روى عنها إبراهيم بن أبي عبلة وكانت دارها بدمشق بقرب طاحونة الثقفيين المعروفة اليوم بطاحونة القلعة وكانت لها دار أخرى خارج باب الفراديس على يسرة المار إلى المقبرة".** ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٠/ص٢٠٤..

(١٥٨) بعض الرواة جعلوها أم البنين بنت المخترم وليست بنت عبد العزيز قالوا:" **أم البنين بنت المخترم امرأة كانت للوليد بن عبد الملك، تزوجها من أهل البادية، وكان وضاح اليمن قدم على الوليد قدوم الشعراء فعلقته أم البنين، وبلغ الوليد أمره ففعل به خادمه ما فعل بأمره "**، ولكن البلاذري وغيره جعلوها أم البنين بنت عبد العزيز. ينظر: أنساب الاشراف، ج٨/ص٨٩ - ٩٠،ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٦/ ص٤٣١-٤٥٣، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية،ج٩/ص٢٣٢،ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٨/ص٩٥، الصفدي، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧٠-٧١، الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن احمد بن بن عبد الرحمن(ت٧٦٤هـ)،فوات الوفيات، تحقيق: محمد بن يعوض الله وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية(بيروت-د.م)، ج١/ص٦١٩-٦٢٢.

(١٥٩) **"كثير بن عبد الرحمن ابن الأسود بن عامر بن عويمر... الخزاعي الحجازي الشاعر المعروف بابن أبي جمعة وهو كثير عزة وفد على عبد الملك بن مروان وروى عنه خطبة له ووفد على عمر بن عبد العزيز وغيره من خلفاء بني أمية وكان من فحول الشعراء."** ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٠/ص٧٦..

(١٦٠) **"وضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل**

بن عبد كلال... ثم يختلف في تحقيق نسبه، فيقول قوم: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع وهرز لنصرة سيف بن ذي يزن على الحبشة. ويزعم آخرون أنه من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل...بن العرنجج وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب وهو المرعف بن قحطان. فممن ذكر أنه من حمير خالد بن كلثوم، قال كان وضّاح اليمن من أجمل العرب قال كان وضّاح اليمن من أجمل العرب.. فمات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها، وانقضت عدّتها فتزوجت رجلا من أهلها من أولاد الفرس. وشبّ وضّاح في حجر زوج أمه. فجاء عمّه وجدّته أم أبيه، ومعهم جماعة... يطلبونه، فادّعى زوج أمه أنه / ولده. / فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه ولد على فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه، فحكم به الحاكم لهم، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء في أمره وحضر معهم. فلما حكم به الحاكم للحميريين، مسح يده على رأسه وأعجبه جماله وقال له: اذهب فأنت وضّاح اليمن، لا من أتباع ذي يزن فعلقت به هذه الكلمة منذ يومئذ،فلقّب وضّاح اليمن.". ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني،ج٦/ ص٤٣١-٤٣٢، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧٠..

(١٦١) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٦/ص٤٣٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٧/ص٩٠،الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧١، الكتبي، فوات الوفيات، ج١/ ص٦٢٠.

(١٦٢) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٦/ص٤٣٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٧/ص٩٠-٩١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧١، الكتبي، فوات الوفيات، ج١/ ص٦٢٠.

(١٦٣) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٨٩،ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٧/ص٩٠-٩١ئ .

(١٦٤) شجرة عظيمة. الفراهيدي، العين، ج٨/ص٢٤١.

(١٦٥) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٦/ص٤٤٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ ص٧٠-٧١، الكتبي، فوات الوفيات، ج٢/ص٦٢٠.

(١٦٦) الغير مختتن. الفراهيدي، العين، ج٤/ص٢٦٤.

(١٦٧) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٦/ ص٤٤١-٤٤٢، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩/ص٢٣٢-٢٣٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٧/ص٩١، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢/ص٤٥- ٤٦،

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧١-٧٢، الكتبي، فوات الوفيات،ج١/ص٦٢٠-٦٢١.

(١٦٨) الزجر النهي. الفراهيدي، العين، جج٦/ص٦١.

(١٦٩) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٦- ٢٥٧، الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: نخبة من العلماء،ط٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت -١٩٨٣م)، ج٥/ص٣٧٥.

(١٧٠) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٦/ص٤٤٢، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩/ص٢٣٣.

(١٧١) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج١/ص١١١و١١٢و١١٦،ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩/ص٢٣٣.

(١٧٢) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٦٦.

(١٧٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧٢.

(١٧٤) أم البنين بنت المخترم امرأة بدوية جميلة تزوجها رجل من حمير وطلقها بعد معرفته بالعلاقة الحميمة بينها وبين الشاعر وضاح، قيل في ذلك: " **كان وضاح من ابناء اليمن وكان جميلاً...وكانت أم البنين بنت المخترم امرأة جميلة فعشقها وأحبته وكان زوجها من حمير فسمعها تقول:**

يا وجه وضّاح لقد
أورثت قلبي حزنا
وكان وضاح لنفس*
ي ويح قلبي شجنا

فطلقها. ولها يقول وضاح:

وأنت التي كلّفتني البرد شاتيا * وأوردتنيه فانظري أيّ مورد". ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٨٩-٩٠.

(١٧٥) أنساب الاشراف، ج٨/ص٨٩-٩٠.

(١٧٦)الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧٢.

(١٧٧) ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٨٩-٩٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٧٢.

(١٧٨) ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٤-٢٥٦.

(١٧٩) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر(بيروت -١٩٩٥م) ج١٢/ص٢٧٤.

(١٨٠) ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف،ج٨/ص٨٨، ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني،ج٦/ ص٤٣٧-٤٣٨.

(١٨١) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف،جج٨/ص٢٥٧، ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٦/ص٤٤٣.

(١٨٢) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ص٣٧٥.

(١٨٣) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٧-٢٥٨.

(١٨٤) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٨ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ص٣٧٥،المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ ص١٩٩، مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن مسكويه الرازي(٤٢١هـ) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: ابو القاسم امامي، دار سروش(طهران-٢٠٠١م) ج٣/ص١٧.

(١٨٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص١٩٦.

(١٨٦) أي اهل البغض. الجوهري، الصحاح، ج٥/ص٢١٤٦.

(١٨٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص١٩٦-١٩٧.

(١٨٨) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٥٩.

(١٨٩) **"مطيع بن إياس بن أبي مسلم أبو سلمى الكناني الليثي الكوفي شاعر محسن وفد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان أبوه شاعرا من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف حكى عن أبي جعفر المنصور وسلم بن قتيبة الأمير حكى عن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي أخبرنا أبو الحسن بن قبيس المالكي وأبو منصور بن خيرون قالا قال لنا أبو بكر الخطيب مطيع بن إياس أبو سلمى الكناني الكوفي قدم بغداد وصحب المنصور والمهدي من بعده وكان شاعرا ماجنا ورمي بالزندقة"**. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٨/ص٣٦٨.

(١٩٠) **"هو عبيد اللَّه بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة...عامر بن لؤيّ بن غالب. وأمه قتيلة ابنة وهب بن عبد اللَّه بن ربيعة بن طريف بن عديّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة...إنما لقّب عبيد اللَّه بن قيس الرّقيّات لأنه شبّب بثلاث نسوة سمّين جميعا رقيّة "** ينظر: ابو الفرج الاصفهاني،الاغاني،ج٥/ص٥١-٧٠.

(١٩١) ينظر: الاغاني، ج١٣/ص١٩٥.

(١٩٢) **"ابن كناسة محمد بن كناسة واسم كناسة عبد الله قيل هو ابن أخت إبراهيم ابن أدهم العابد روى عنه النسائي قال ابن معين وأبو داود وعلي بن المديني والعجلي وغيرهم ثقة له علم بالعربية والشعر وأيام**

الناس مات بالكوفة سنة سبع ومائتين". الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤/ص٢٦٦.

(١٩٣) **"معبد المغنّي ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر..والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان..وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم، وكان أبوه أسود وكان..مديد القامة أحول. وذكر.. أن معبدا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده.،".** ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج١/ص٦١-٦٢.

(١٩٤) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٦٠.

(١٩٥) التعالي والانفة. الفراهيدي، العين، جج٨/ص٤٣.

(١٩٦) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٦٠-٢٦٢، المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص١٩٨.

(١٩٧) الصب الرجل الذي يصب للمرأة عشقا.. الفراهيدي، العين، ج٧/ص٩٠.

(١٩٨) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٦٠-٢٦٢.

(١٩٩) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٦١.

(٢٠٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ص٣٧٥.

(٢٠١) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/ص٢٦١، ابن الاثير، الكامل، ج٥/ ص١٢٠.

(٢٠٢) يبدو انهما من حاشية مروان بن الحكم.

(٢٠٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥/ ص٢٩٣-٢٩٤، النويري، نهاية الارب، ج٢/ ص١٥٦-١٥٧.

(٢٠٤) اصلها فاستنطقها ولكن حرفت بوضع النقطة على الطاء.

(٢٠٥) الرياح التي تنقل التراب من مكان الى اخر وتدفن من تصله. الزبيدي، تاج العروس،ج٨/ص٣١٢.

(٢٠٦) الثوب الخلق العتيق. الفراهيدي، العين، ج٧/ص٤٢٥.

(٢٠٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٨،ص١٤٥-١٤٦، النويري، نهاية الارب، ج٢/ ص١٥٨-١٥٩.

(٢٠٨) هو **"قيس بن ذريح بن سنّة بن حذافة بن طريف...بن مضر بن نزار"، "من أعراب الحجاز، شاعر محسن، كان يشبب بأم معمر لبنى بنت الحباب الكعبية، ثم إنه تزوج بها... وكان يكون بقديد وقع بين أمه وبين لبنى فأبغضتها، فما زالت تتحيل حتى طلق لبنى، وقال لأمه: أما إنه آخر عهدك بي، وعظم به فراق أهله،**

وجهده."، " وأمر أباها أن يزوجها بخالد بن حلزة من غطفان فلما علم قيس بذلك جزع جزعا شديدا.. ولم يزل تارة يتوصل إلى زيارتها بالحيلة عليها وتارة تزوره وهو عند قوم نازل وتارة يختفي عن زوجها بأنواع من التستر والتخفي إلى أن ماتت لبنى فتزايد ولهه وجزعه وخرج) في جماعة قومه حتى وقف على قبرها وقال ماتت لبينى فموتها موتي هل تنفعن حسرتي على الفوت فسوف أبكي بكاء مكتئب قضى حياة وجدا على ميت ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل ولم يزل عليلا لا يفيق ولا يجيب مكلما ثلاثا حتى مات ودفن إلى جنبها وكانت وفاتهما في حدود السبعين للهجرة ".ينظر: ابو الفرج الاصفهاني الاغاني، ج٩/ص١٢٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ص٥٣٤-٥٣٥، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤/ص٢٢٣.

(٢٠٩) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٩/ص١٣٥، التنوخي، الفرج بعد الشدة، ط٢، منشورات الشريف الرضي(قم-د.ت) ج٢/ص٤٢١.

(٢١٠) التنوخي، الفرج بعد الشدة،ج٢/ ص٤١٨-٤٢١.

(٢١١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢/ ص٤٢٢.

(٢١٢) ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٩/ص١٥٠، التنوخي، نشوار المحاضرة، ح٢/ ص٤٢٢.

(٢١٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥/ص٢٨٨، الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام، ط٢، دار الكتاب العربي(بيروت-١٩٩٨م) ج٥/ص٢١٧.

(٢١٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥/ص٢٨٨-٢٨٩، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٥/ص٢١٧-٢١٨.

(٢١٥) للمزيد ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٢/ ص٣٢٩.

(٢١٦) ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي (بيروت-١٩٨٨م)، ج٨/ ص٣٨٢-٣٨٨، وينظر: السراج، مصارع العشاق، ج٩/ ص٢٠٦-٢٠٨.

(٢١٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ص٣٨٢-٣٨٨.

(٢١٨) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٥/ ص٩٩-١٠٠، النويري، نهاية الارب، ج٢/ص١٦٠-١٦١.

(٢١٩) ابن الجوزي، المنتظم،ج٦/ص١٢٩،، النويري، نهاية الارب، ج٢/ص١٦١.

(٢٢٠) الابشيهي، المستطرف، ج٢/ص٦٦٨-٦٦٩.

(٢٢١) أي بقيت. الفراهيدي، العين، ج٥/ص١٠٦.

(٢٢٢) الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ) ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: عبد الأمير المهنا، ط١، مؤسسة الاعلمي (بيروت-١٩٩٢م) ج٣/ ص٤٢٩.